لو تنهض الأخلاق فيه لعاد فى عزم الأسود
وسما إلى مايرتجيـــه وأثمرت كل الجهود

* * *

قـل يا وليد الدهر حدث ما وراءك يا وليد ؟
قرنت بمطلعك السعيد رئاسة الشيخ الجـــديد
فأل يبشرنا بأن عهـوده أزكى العهـود
دلت مخـايله عـلى يمن الطليعة والسعود
فالأزهر اليوم اغتـدى يختال فى أبهى البرود
من بعـد ما استعر اللظى فيـه وشب له وقود
أضحى ، بابراهيم ، برداً والســـلام به يسود
هى حكمة ، ، الفاروق والـ ـفاروق ذو الرأى الحميد
مولاى معـذرة إذا لم تلقنى بين الوفود
وأنا الوفى لعهدكم وعن المودة لا أحيـد
هو منصب يسمو على النثر المنمق والقصـيد
أمل تحقق طالمـا رمناه من زمن بعيـد
قد طالعتنا منه أعراس المنى فى يوم عيـــد
وفقت فى أعبـــائه وسعدت بالعمر المديد

وهذه قصيدة عصماء أخرى لحضرة الأستاذ النابغة الشيخ أحمد شفيع السيد
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

تألق بساما وأشرق زاهـــره هلال على الآفاق لاحت بشائره
طوى الكون آلاف السنين فما دنت ركائبه يوما ولا كل دائره
وكم تشخص الأبصار فى مستهله ومن عجب لا يسأم الدهر ناظره
تعد به الأعوام مهما تطاولت فيا لسجل لم تحـــبر دفاتره
يمثل ألوان الحياة طفولة يليها شباب يقطر الحسن ناضره
وبعدهما شيب ، كذاك هلاله يكمل بدراً ، والمحاق أواخره

الحق فى يمناه يعشى　　نوره قلب الجحـــود
مكروا وراموا كيده　　والله يعصم من يريد
من ذلك الغازى كأن　　خطاه زلزال شديد ؟
الأرض ترجف تحتـــه　　وتكاد من هول تميد
قاد الجيوش مظفراً　　يختال فى خفق البنود
قد راع مكة زحفها　　قدماً وأهلوها قعـــود
وكأنما تكبيرها فى　　سمعهم قصف الرعود
واستسلم الطاغى وأسلس　　كل جبـــار عنيد
واندك طود المشركين　　وزلزل الحصن العتيد
وتداعت الأصنام وانكـ　　ـفأت على هـام العبيد
الله أكبر هـذه　　عقبى التجلد والصمود
سـاد النبى على عداه　　وكان بالأمس الطريد
هى هجرة الحق الغريب　　وقصة المجـــد الفريد
فتبارك الله القوى　　وعز ذو العرش المجيد

* * *

قـل يا وليد الدهر حدث　　ما وراءك يا وليد ؟
ماذا تخشـــه غـد　　ومن المسود ومن يسود ؟
وأد الســلام دعاته　　ورموه فى ظلم اللحود
هم حاسدوه وقد يغرك　　بابتسـامته الحســـود
ليس الشهيـد قتيلهم　　إن الســلام هو الشهيد
الغرب حاد عن الهـدى　　ونأى عن القصد السديد
يفتن فى ذريّة لهـــــوى مطامعـــه تبيـــد
فالبحر جن سفينه　　والبر معتوه الحـديد
والشرق مغلوب القوى　　أسوان يرسف فى القيود
دب الفساد به وأوهن　　عزمه طول الرقود
لم يجن من آفاته　　غير الأمانى والوعود

شرور المذاهب المحدثة ، والآراء المتطرفة التى تخالف دينهم ، وليكون بينهم ائتلاف واتحاد ، فيكون لهم بذلك قوة ومنعة تدفع عنهم الأعداء .

وإنى أوجه التهنئة لإخوانى وأبنائى المسلمين ، داعيا أن يعيد الله عليهم هذا العيد وهم فى غبطة وسعادة .

وأتوجه إليه تعالى أن يحفظ جلالة الملك المعظم فاروق الأول ذخراً للبلاد ، وراعياً للدين وأهله ، وأن يطيل فى عمره ليستقبل من أعياد الهجرة مالا يعد ولا يحصى ، وأن يوفقه ويوفق ملوك المسلمين وأمراءهم إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين ، كما أسأله أن يوفق رجال حكومة جلالته للعمل لخير البلاد والعباد فى ظل جلالته ، أعزه الله وسدد خطاه .

والسلام عليكم ورحمة الله

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

العـام الجديد

ونهض بعد فضيلة الأستاذ الأكبر حضرة الأستاذ النابه الشيخ حسن جاد المدرس بكلية اللغة ، فألقى قصيدة عصماء قوبلت بإعجاب عظيم ننشر أبياتاً منها تقديراً لقدر منشئها :

بشراك بالعـام الجديد قم حى مطلعه السعيد
قـل يا وليد الدهر حدث ما وراءك يا وليـد
جـددت أروع ذكريا ت المجد فى المـاضى المجيد
ونشرت أبدع صفحـة يزهى بهـا سفر الخلود
ذكرى تهز الشرق تحنا نآ لماضيـــه التليد
من ذلك السارى بجنح الليل فى سجـــواء بيد
يمشى غريب الدار فى أوطانه مشى الشريد
الأهل تنكـره ، وتعر فه المسالك والنجـــود
وربوع مكة كلها تومى إليـه بالسجود
والليل يرهف سمعـه لخطـاه والنجم الشهيد
لم يثنه عن عزمه وعد العشيرة والوعيد

والشريعة التى بلغها سمو بالعقول عن التقليد ، واتباع القول بلا دليل ، وأمرها بالنظر فيما بث الله فى الآفاق من آيات ، ونصب فى الكون من دلائل تدفعها إلى الاذعان بوجود الله ، وبما له من صفات الكمال . من القدرة التامة والعلم المحيط والتفرد بالسلطان فيما عداه ، يمضى فيه حكمه وينفذ قضاؤه . وعبادة وخضوع وتقرب وخشوع ، شكرا لمن خلقهم ، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة . وتهذيب نفوس وتطهير قلوب . وبعد عن الآثام والذنوب ، وتنزه عن الصغائر ، وصدق فى القول ، وإخلاص فى العمل . وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وشجاعة ونجدة ، وإعداد عدة لإرهاب الأعداء ، ومساواة فقكلهم عند الله سواء ، لافرق بين عظيم وحقير وغنى وفقير ، لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله والتقرب منه ، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين ، وتعاون وتناصر ، وتواد وتراحم وتعاطف وطاعة الله ورسوله وأولى الأمر من المسلمين ، إلى غير ذلك مما أمرت به الشريعة ، وحثت عليه ، ورغبت فيه ، وقد أعد الله تعالى للذين يعملون الصالحات سعادة الدنيا والآخرة ، قال تعالى «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » وقال تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » .

وقد عملت الأمة بتلك الشريعة ، فآتت أعمالها الصالحة أكلها ، وأثمرت ثمرتها فى بناء الأمة على أسس متينة ، وأخلاق عظيمة ، وربطت بينهما برباط التعاون والمساعدة ، والمساواة والألفة والمحبة ، والدين والخلق ، فاتحدت بعد تفرق ، وقويت بعد ضعف ، وسعدت بعد شقاء ، وعزت بعد ذل ، فعظم قدرها وعلا شأنها ، وأحكم أمرها ، فغيرت وجه التاريخ ، وفككت الحصر الذى ضربته دولة الفرس ، ودولة الروم ، وفتحت بلاد الأعداء الذين كانوا يكيدون لها ، ويعملون على مضايقتها . ولا زالت الدولة الإسلامية تنتقل من فتح إلى فتح ، ومن نصر إلى نصر ، وعاشت قوية عزيزة ، تهدرها الأمم ، ويرهبها الأعداء ؛ ولما انحرفت عن العمل بالدين ، واتباع هدى سيد المرسلين ، اعتراها الضعف والوهن ، فلانت قناتها ، وذهبت هيبتها .

وإنى أدعو المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يستمسكوا بدينهم ، ليقيم

إلى مكة فى موسم الحج ، فيدعوهم إلى الإسلام ، ويقرأ عليهم القرآن ، فما أجابه أحد ، ومنهم من رد عليه رداً قبيحاً .

وقد اجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقابلة الوفود ، ولم يصرفه إيذاء قريش عن دعوته ، ولا الرد القبيح عن السعى فى إدراك طلبته ، فكان يقابل الوفود فى كل موسم ؛ فنى موسم التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجماعة من الخزرج ، ولما عرض عليهم الإسلام قبلوه ، فكان ذلك الاجتماع مقدمة النجح ووسيلة الفوز ، فانهم لما عادوا إلى أهلهم بالمدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدين الذى يدعو إليه ، فأسلم منهم كثيرون ؛ وفى موسم آخر حضر جمع من مسلمى المدينة والتقى بهم رسول الله وبايعوه . إن هاجر إليهم ، على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ؛ وبعد ذلك أمر صلوات الله عليه ، أصحابه بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم ، وقال لهم « إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها » فخرجوا أرسالا ، رجالا ونساء إلا من حيل بينهم وبين الهجرة من المستضعفين ؛ ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شيعة وأصحاب من غير بلدهم ، وخرج أصحابه من المهاجرين إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، ائتمروا على قتله قبل الهجرة حتى يأمنوا حربه .

ولما علم رسول الله ما أجمعت عليه قريش ، وعرف الليلة التى يريدون الفتك به فى صبحها ، توجه صلوات الله عليه إلى أبى بكر ، وأخبره أن الله أذن له بالهجرة ، فسأله الصحبة ، فأجابه إليها ، واتعدا على الهجرة فى تلك الليلة ، وقد أمر النبى صلوات الله عليه على بن أبى طالب أن ينام مكانه فى تلك الليلة ويتسجى ببرده لئلا يرتاب أحد فى وجوده ، وأصبحت فتيان قريش ينتظرون خروجه صلى الله عليه وسلم للفتك به ، فإذا بعلى يخرج إليهم ، فعلموا أنهم باتوا يحرسون عليا .

ولما علمت قريش بذلك ثارت ثائرتهم وأخذوا يقتصون الأثر ، وجعلوا لمن يأتى به حياً مائة من الإبل ، وهاجر صلى الله عليه وسلم بإذن الله وفى رعايته وحفظه إلى أن بلغ المدينة ، ولما استقر بالمدينة أخذ ينشر دعوته ويبلغ رسالته إلى أن بلغ كل ما أمر بتبليغه ، وبذلك تمت الشريعة وكمل النظام الذى وضعه العليم الحكيم .

بدأ محمد صلى الله عليه وسلم ، بدعوة العرب ، وكانوا وقتئذ أقل الناس حظاً وأشقاهم عيشاً ، وأبينهم ضلالة ، بأسهم بينهم شديد ، يقتتلون لأقل الأمور وأحقر الأسباب ، وكانوا متفرقين لا تجمعهم وحدة ولا يشملهم نظام ، وكان يجاور العرب ، دولتان عظيمتان : دولة الفرس ، ودولة الروم الشرقية ؛ استولت كل واحدة منهما على ما جاورها من بلاد العرب ، وجعلت عليه حاكما من العرب ، يعمل لها وينفذ إرادتها ، ويرعى مصالحها ، وبهذا الوضع كان العرب محصورين فى جزيرتهم ، قانعين بما فيها من مفاوز وصحارى .

دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى خير الأمور ، وأفضل الأعمال : دعاهم إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام ، لأنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تعطى ولا تمنع ، ولا تدفع عن نفسها أذاة ، ولا تميط قذاة ، ولا تخلق حصاة ؛ ومع ظهور الحجة ووضوح البرهان ، وتنبيههم للحق فى كثير من الآيات ؛ قال تعالى : « يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب » إلى غير ذلك من الأمثال التى صرفها الله تعالى فى كتابه ، ومع كل ذلك لم يؤمنوا به ، بل كذبوه أشد تكذيب وبالغوا فى الإنكار ، وقالوا « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » . ومن جهلهم زعموا أن دعوة النبى صلى الله عليه وسلم الناس إلى عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام ، لم تكن إلا لأنه صلوات الله عليه يكره الأصنام ، ويريد الانتقام منها ، لأن بعضها اعتراه بسوء ، وألحق به ضرراً ، فقالوا : « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » . فكان ذلك صراعاً بين الحق والباطل ، وبين الحجة والبرهان ، والجهل والطغيان ، ولم يقفوا عند التكذيب والإنكار ، بل تجاوزوا ذلك إلى إيذائه وإيذاء من شرح الله صدورهم للإسلام ، فقبلوا دعوته ، وآمنوا برسالته ، وفازوا بشرف السبق ، وكلما بالغوا فى الإيذاء ، بالغ صلى الله عليه وسلم فى الصبر ، واجتهد فى الدعوة ، وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص ، عظيم الاهتمام بكثرة الأعوان والأنصار ليتمكن بذلك من أداء مهمته ، وتبليغ رسالته . فكان عليه السلام يتلقى من أقبلوا

(١)

الاحتفال بيوم الهجرة النبوية

يحتفل المسلمون اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها بيوم الهجرة النبوية ، واحتفلنا بها نحن فى البلاد المصرية كافة فى أشهر مساجدها ، وكان احتفال القاهرة به فى الجامع الأزهر تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، وقد حضره صاحب السعادة محافظ القاهرة نائباً عن حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول . فألقى فضيلته خطبة جامعة شملت ملخصا من تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم ، ضمنها الأصول التى يقوم عليها الإسلام مما يحيى الأمم ويأخذ بيدها إلى الغايات البعيدة من خيرى الدنيا والدين . كل ذلك فى قالب بديع من البيان وسمو رائع من الالقاء . مما أعجب به المجتمعون ، وكانوا كلهم من علية القوم وأهل العلم ، أعاده الله على الأمة الإسلامية بالخير العميم ، والسعادة واليمن .

وها هى خطبة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

حضرة صاحب السعادة مندوب حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم .

أيها السادة :

شاعت فى الأمم السابقة خرافات وعقائد باطلة لم تكن وليدة بحث ودرس ونظر واستدلال ، وإنما هى أقوال ملفقة ، يأخذها الخلف عن السلف ، ويقلد فيها الأبناء آباءهم من غير فهم ولا روية ، وهى موضع تقديرهم ، ومحل اعتبارهم ؛ وأشد الناس تمسكا بها ومحافظة عليها المترفون . لأنهم يعتقدون أن فى الدين زوالا لهيبتهم وذهابا لعظمتهم ؛ قال تعالى . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون »

وقد أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بدينه الذى ارتضاه لخلقه ، واختاره لعباده ، من يوم مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فكان موقف أمته منه ، صلوات الله وسلامه عليه ، موقف الأمم السابقة من رسلها ، ولم تستحدث الأيام خلقا ، ولا حالت من الزمن العهود .

يذكرنا مسراه فى هدأة الدجى بمسرى رسول الله يرعاه آمره
تحيفه ظلم عسوف مخاطر ولم يدر أن الشرك تهوى مخاطرُه
رفيقان فى غار خفى تواريا وحولهما نور تفيض بواهره
لقد عشيت عن مشرق النور أعين يرين عليها من ضلال دياجره
وما يبصر الخفاش فى روعة الضحى فهل يبصر الكفار ما الله ساتره؟؟
وليس فراراً ما أتاه محمد فليس يطيق الضيم إلا أصاغره
يقيم النعام وادعا فى كناسه ويجلو عن الآجام ظلما قساوره
إلى طيبة الخير استقلت ركابه فأثل مجداً فى السماء مفاخره

* * *

فيا هجرة المختار قد كنت فيصلا رأينا به الإشراك قطع دابره
وبدل دين الله بالضعف قوة وفارق أهلا فاستفاضت عشائره
فيالك سوأى قد تحولت حيرة وشر اجرى بالخير واليمن طائره
فلم ينصر الكفار والله فوقهم ولم يخذل المختار والله ناصره
سماء تعالت ان تنالوا عنانها ولن تطفئوا نورا، وذو العرش ناشره

* * *

وما عرفت هذى الدنا كمحمد كريما يرجى أو شجاعا تحاذره
ألم يحى هذا الكون بعد مماته وتسكب على وادى النفوس مواطره ؟
ألم يأتهم بالذكر نورا وحكمة موارده تزكو وتزكو مصادره ؟
ألم يبن من أبناء يعرب أمة إليها عنا كسرى ودانت قياصره ؟
أياديه فى الإنسان بيض كأنها أيادى الربيع الطلق يبسم زاهره
فلم يجن هذا الكون من مدنية سوى ثمر دين الحنيفة باذره
ومهما بدا فى الكون نور معارف ففى مشرق الإسلام كانت بواكره

* * *

فياقادة الاسلام هذا رسولكم تمرس بالأهوال وهى تساوره
فكونوا جنود الدين والعلم تنصروا ومن ينصر الاسلام فالله ناصره
وفى عصمة الفاروق للدين عزة يذاد بها واهى الذمام وداثره
وفى ظل ابراهيم مرجو نجحكم فآلاؤه ترجى وتخشى بوادره

(١)

الاحتفال بيوم الهجرة النبوية

يحتفل المسلمون اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها بيوم الهجرة النبوية ، واحتفلنا بها نحن فى البلاد المصرية كافة فى أشهر مساجدها ، وكان احتفال القاهرة به فى الجامع الأزهر تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، وقد حضره صاحب السعادة محافظ القاهرة نائباً عن حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول . فألقى فضيلته خطبة جامعة شملت ملخصا من تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم ، ضمنها الأصول التى يقوم عليها الإسلام مما يحيى الأمم ويأخذ بيدها إلى الغايات البعيدة من خيرى الدنيا والدين . كل ذلك فى قالب بديع من البيان وسمو رائع من الالقاء . مما أعجب به المجتمعون ، وكانوا كلهم من علية القوم وأهل العلم ، أعاده الله على الأمة الإسلامية بالخير العميم ، والسعادة واليمن .

وها هى خطبة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

حضرة صاحب السعادة مندوب حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم .

أيها السادة :

شاعت فى الأمم السابقة خرافات وعقائد باطلة لم تكن وليدة بحث ودرس ونظر واستدلال ، وإنما هى أقوال ملفقة ، يأخذها الخلف عن السلف ، ويقلد فيها الأبناء آباءهم من غير فهم ولا روية ، وهى موضع تقديرهم ، ومحل اعتبارهم ؛ وأشد الناس تمسكا بها ومحافظة عليها المترفون . لأنهم يعتقدون أن فى الدين زوالا لهيبتهم وذهابا لعظمتهم ؛ قال تعالى . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون »

وقد أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بدينه الذى ارتضاه لخلقه ، واختاره لعباده ، من يوم مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فكان موقف أمته منه ، صلوات الله وسلامه عليه ، موقف الأمم السابقة من رسلها ، ولم تستحدث الأيام خلقا ، ولا حالت من الزمن العهود .

الأستاذ الأكبر الجديد

قابل جميع علماء الأزهر وطلابه خبر تعيين حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش شيخاً للأزهر ، بقبول لم نشهد مثله فى تعيين أحد ممن سبقه فى العهد الأخير ، لعلمهم بألمعيته وهمته فى جميع المناصب التى تولاها ، فهو من الأفراد القلائل الذين حصلوا على إجماع الناس فى تقديرهم والثناء عليهم ، وقد دلت مظاهر استقباله « يوم شرف إدارة الأزهر بحضوره » على مبلغ ما يكنه العلماء والطلبة لشيخهم الأكبر من الحب الخالص والتقدير البالغ . ولأول مرة شاهدنا دلائل الاستبشار بالاجماع على وجوه طلبة الأزهر وعلمائه فى استقبالهم لشيخ جديد .

والذى يشجعنا أن نمضى فى تفاؤلنا قدما أن فضيلة الأستاذ الأكبر أمضى جميع سنى الاضطرابات الأزهرية بين ظهرانى الطلبة ، فهو أعرف الناس بحاجاتهم الملحة ، وأدراهم بما يتفق تنفيذه ومصلحتهم ، وما هو أولى بالبدء به من غيره ، مما لا يدور بخلد كبار الشيوخ ممن بعد عهدهم بالتدريس وقيادة الطلاب ، ولا يعدونه مما يصح أن يشتغل به بالهم ، ولا يرون للطلبة وجها فى تمنيه فضلا عن الإلحاح فى طلبه ، والاضراب عن تلقى الدروس فى سبيله .

واعتباراً لهذا الأصل نرجو أن يكون دخل الأزهر فى دور جديد من أدوار حياته الطويلة المباركة ، ينال فيه كل ما يجب أن يكون له كجامعة دينية عالمية ؛ وفى تحقيق هذا الأمل تحقيق لأمانى العالم الاسلامى كله الذى يتطلع إلى هذه الغاية بقدر تطلعه إلى استكمال حياته الأدبية من جميع مظانها الروحية والعقلية .

وليس ببدع أن يتطلع العالم الاسلامى كله إلى تحقيق هذه الأمنية ، فإن الحوادث العالمية تدفعه إلى استكمال قواه ، ولا يتم له ذلك إلا باستكمال مصادر حياته الروحية والعقلية .

ومجلة الأزهر ، بلسان مديرها وجميع موظفيها ومحرريها ، تقابل تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الجديد بكل إجلال وتقدير ، ونرجو أن تنال فى عهده من الكمال ما هى عاملة لبلوغه فى كل حين . فإلى فضيلته « من مديرها وموظفيها ومحرريها » ماتكنه قلوبهم من الشعور العالى والتقدير العظيم ، راجين أن يوفقه الحق جل وعز إلى تحقيق ما يتوخاه من الإصلاحات القيمة والتجديدات التى تقتضيها السنن الإلهية فى مثل الزمان الذى نحن فيه . وفقه الله لتحقيق كل ما يرجوه للأزهر والأزهريين بامداده من عنده ، إنه ولى المؤمنين ؟

الدين أمام العلم والفلسفة

علماء أوروبا وفلاسفتها يهتدون إلى الإسلام

إن لفظة دين قديمة جدا كقوم مسماها ، وشائعه بين جميع الطوائف البشرية سواء حاضرها وباديها ، وحشيها ومتمدنها . ولكن الناس لم يدركوا معناها على الوجه الصحيح الذى جاءت به الكتب الإلهية والذى ينطبق على رحمة الخالق وعنايته . ومن يتدبر التاريخ ير الشعوب المختلفة قد تطورت مرات كثيرة فى فهم معنى هذه الكلمة على نسبة تطور العقل البشرى والمعقولات .

كان الأقدمون لا يعرفون الدين إلا أنه مجموعة احتفالات عمومية ، تضحى فيها الحيوانات وأسرى الحروب إرضاء لمعبوداتهم ، وتسكينا لغضبهم . ثم لما ترقت المدارك الإنسانية ، ونمت فيها الغريزة العقلية بظهور العلوم والفنون ، أخذ معنى الدين ينجلى شيأ فشيأ ، ويقرب رويداً رويداً من المعنى المراد لله ، والذى جاءت الأديان تأمر الناس بفهمه على هذا الوجه .

نحن هنا قبل أن نتكلم على ماهية الدين بالمعنى المراد للاسلام يجب علينا أولا أن نتكلم على ما يفهمه علماء أوروبا من هذه اللفظة بعد أن فحصوا العلوم فحصا ، وأوسعوا الكون بحثا عن نواميسه ، وتنقيرا عن قوانينه ، لنجعل هذا من بعض الأدلة الحسية ، على نظريتنا من أن كل خطوة يخطوها العلم فى سبيل فهم الحقائق هى تقرب ظاهر إلى الإسلام فنقول :

أن علماء أوروبا بعد أن دخلوا فى كل دور يمكن أن يدخله الإنسان المعرض لكل أصناف الفتن العلمية ، عادوا الآن حيث الهدوء شامل ، فاعترفوا عن بينة بأن لهذا الكون خالقا قادراً حكيما متصفا بكل صفات الكمال ، ومنزها عن كل ما يشعر بالنقص . وأنه جل سلطانه وضع الكون على نظام مخصوص يستطيع من ينظر إليه بروية أن يستنتج منه تلك الصفات العليا استنتاجا محسوسا . وأن يتعلم منها أمورا يغنى الجرى عليها . على قلتها وسوء فهمها ، عن ألوف القواعد والتعاليم التى كانت تلقى على الناس فيحنون رؤسهم خضوعا لها ، ولكن على غير فهم لحكمها وحكمتها .

ثم رأوا باستقراء نظام الكون وتدبر نواميسه ، أن الخالق جل شأنه يتعالى علواً كبيرا عن الاحتياج لكائن من صنع يده ، بل هو غنى بذاته عن كل من عداه. ثم قالوا إن غناه هذا لم يمنعه عن الاهتمام بمخلوقاته اهتماماً يدل على عظيم رحمته ، وأقل نظرة فى الوجود تدل على صدق هذه النظرية دلالة حسية

انظر إلى صنوف النباتات والحيوانات من أدناها إلى أعلاها ، تر آثار هذه الرحمة العظمى تتجلى للانسان تجليا يبعثه رغم أنفه إلى محبة ذلك الخالق العظيم . فإنه جل شأنه لم يترك كائنا من الكائنات إلا وهبه ما يقيم أود حياته ، ويحفظ بقاءه ، وزوده من القوى بما يدفع عنه البوائق والجوائح ، إلا ما يستلزمه نظام الكون ، ويكون فى حصوله أثر مرحمه أسمى ، ورأفة أعلى وأن إلها هذا شأنه لا يحمل الانسان من العبادة إلا ما فيه حكمة بالغة , وفائدة جليلة لذات الشخص وبنى نوعه .

ومن يتأمل فى مبلغ الرقى الذى وصل إليه الإنسان من أول نشأته إلى الآن ، يتحقق أن الخالق جل شأنه وهبه من الخصائص ما يستمر به ترقيه وتدرجه إلى حيث لم يصل إليه الفكر البشرى إلى الآن .

ثم قالوا وبما أن أفعال الله مجردة عن العبث والتناقض فيجب أن تكون مرغوبة لله تعالى ، موافقة للنواميس العالمية الثابتة السائدة فى الكون كله ، وملائمة للميول والمرامى المغروسة فى جبلة النوع الإنسانى .

فاستناداً إلى هذه البدائه العلمية التى لا يصح المراء فيها ، بنى طائفة عظيمة من علماء أوروبا ديانتهم التى سموها طبيعية . وإليك ما قاله فى هذا الشأن الفيلسوف المشهور (جون سيمون) الفرنسى قال :

« إننا نؤدى فى أثناء هذه الحياة الواجبات التى رسمها الله تعالى لنا تحت رعايته وعنايته ، وعند ما ينتهى وجودنا فهو إما أن يثيبنا أو يعاقبنا » . ثم ذكر الأسباب التى تقتضى الإثابة أو المؤاخذة فقال :

« أما الأمر الذى يقتضى المثوبة الحسنة ، فهو طاعة الإنسان للواجب عليه ، طبقاً

لقانونه الخاص وعمله للخير . أما القانون الخاص فهو حفظ ذاته من العطب وترقية خصائصه المودعة فيه ، ثم هي محبة وخدمة إخوانه ، ومحبة موجد ذاته وعبادته .

« ولكن ما هي الطريقة التي يعبد بها الإنسان ربه ؟ هي أداء الواجب ؛ وعمل الخير هو العبادة ؛ والحب والعمل والاخلاص هي العبادة الحقيقية وهي الصلاة ؛ والاخلاص للوطن ، هذه هي العبادة في الديانة الطبيعية ، كل أصول مذهبنا واضحة لا رموز فيها . أما أصوله فهي الاعتقاد بوجود إله قادر على كل شيء ، ولا يغيره شيء . خلق العوالم وحكمها بنواميس عامة . ووجود حياة أخرى تؤدي لنا جميع وعود هذه الحياة الدنيا ، وتكافيء المظالم بالجزاء الأوفى ، هذه هي عقائدنا . أما صلاتنا فهي أن تكون قلوبنا مملوءة بمحبة الله تعالى ومحبة الإنسان ، وأن تكون لنا ارادة ثابتة في أداء الواجب وخدمة ارادة الله تعالى بعمل الخير والبر » انتهى .

هنا نستدرك فنقول إن أصحاب هذه الديانة لا يكرهون العبادة الجثمانية كما يؤخذ ذلك من أقوال الفيلسوف (جول سيمون) في غير هذا الموضع ، إلا أنهم لا يعتدون بعبادة جثمانية لا يكون لها ثمرة أدبية . فهم يريدون أن تكون تلك العبادة معتبرة وسائل لإحياء القلوب وتطهيرها من أدناسها ، لا أغراضاً قائمة بنفسها مجردة من كل غاية . قال (كانت) الفيلسوف الألماني المشهور : « العبادات الخارجية لا تكون رديئة إلا إذا اعتبرت أغراضا لا وسائل . فهي يمكن أن تكون نافعة مفيدة إذا لم تعتبر إلا وسائل لايقاظ وتقوية العواطف الفاضلة في النفس البشرية » .

ونحن نستخلص من كل هذه الأقاويل أربعة أمور هامة هي مذهب علماء أوروبا في الدين وهي :

(أولا) الاعتقاد بأن الله غني عنا وعن أعمالنا . وأن ما نعمله من خير لا ثمرة له إلا منفعتنا الخاصة .

(ثانيا) أن الله تعالى رحيم بالإنسان يود صلاحه ولا يكلفه بشيء إلا لمصلحة نفسه .

(ثالثا) أن العبادة يجب أن تنطبق على النواميس الثابتة للحياة ، وأن تلائم الطبيعة البشرية ، لا أن تعارضها وتسعى فى ملاشاتها .

(رابعا) العبادات الجسمية يجب أن تعتبر وسائل لتطهير النفوس وتهذيبها ، لا أغراضا مطلوبة لذاتها .

نقول ن هذه الأربعة الأمور التى لم يصل إليها العقل البشرى إلا بعد أن شابت ناصية الكرة الأرضية ، وجعلت علماء القرن التاسع عشر يتيهون بها عجبا ، ويتمايلون طربا ، ليست إلا قطرة من بحر الديانة الإسلامية الزاخر ، وشعاعا من شمسها المتألقة . ونحن لأجل زيادة الاقناع نأتى هنا على النصوص الشريفة التى تنطبق على هذه الأمور الأربعة مرتبة على حسبها فنقول :

(أولا) الاعتقاد بأن الله غنى عنا ، وأن ما نعمله تعود ثمرته إلينا ولا ينال الله منه شيأ ، يقابله قوله تعالى : « ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، إن الله لغنى عن العالمين » .

(ثانيا) أن الله تعالى رحيم بالإنسان ويود صلاحه ، ولا يكلفه بالعبادة إلا لفائدة نفسه . قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، وقال تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون » .

(ثالثا) يجب أن تنطبق العبادة على نواميس الحياة . وأن تلائم الطبيعة البشرية ، لا أن تعارضها وتسعى فى ملاشاتها . قال الله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليهاما اكتسبت » ، وقال تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم » . وقال تعالى : « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » .

(رابعا) التكاليف العبادية يجب أن تعتبر وسائل لتطهير النفوس وتهذيبها ، لا أغراضا مطلوبة لذاتها . قال الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » . وقال النبى عليه الصلاة والسلام : « من لم تنهه صلاته عن

الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » وقال عليه الصلاة والسلام : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » .

هذه هي عقيدتنا في فهم الدين ، وقد رأيت أنها مطابقة للعقل والعلم تمام الانطباق ، ومتفقة مع النواميس الثابتة كل الاتفاق ، ولما كانت مطاعن علماء أوروبا على الأديان لم تتوجه إليها غالباً إلا من هذه الوجهة الرئيسية التي تبتني عليها سائر قواعد الدين ، فقد حق لنا أن ننادي بأعلى صوتنا أن الاسلام هو الدين الذي ترضاه العقلية العلمية ، لاتفاقهما في الأصول ، واتحادهما في الأغراض والوجهة ، وهو أجل من أن تناله هباءة من ذلك التنديد . وأعظم وأعز من أن يصيبه أي مطعن من تلك المطاعن .

هذه الأربعة الأصول يعتبرها أصحاب الديانة الطبيعية أركانا تبتني عليها القواعد القانونية التي يكون في العمل بها ارتفاع الانسان في معارج الكمال الذي أعد الحق هذا النوع لبلوغه ، ولما كان العلم هو المنوط إجماعا بالتحسس من تلك القواعد المرقية للانسانية ، فهم يعتبرون كل قاعدة يتوصل إليها من هذا القبيل كأنها قاعدة دينية في الجرى على سننها رضاء الخالق جل وعز .

أما المرويات القديمة والأساطير التي مضى عليها ألوف من السنين مع ما استلزمته من قواعد الدين . فقد صدفوا عنها وهجروها هجرا لا رجعة عنه . قال الفيلسوف الألماني (كانت) Kant :

« الديانة الحقيقية الوحيدة لا تحتوي إلا على قوانين ، أعني قواعد قابلة للتطبيق نشعر من ذاتنا بضرورتها المطلقة ، وتكون مجردة عن الأساطير والآراء الكهنوتية » نقول كأن (كانت) يريد أن يذكر المسلمين بقوله تعالى : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » ؟

محمد فريد وجدي

الربا
فى نظر القانون الاسلامى

تعريب المحاضرة الفرنسية التى ألقاها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز
مندوب الأزهر فى مؤتمر القانون الإسلامى المنعقد بباريس
فى ٧ من يوليو سنة ١٩٥١ م

— ١ —

مقدمة تاريخية

قبل أن أعرض على أنظاركم وجهة نظر الإسلام فى الربا ، ائذنوا لى ياجناب الرئيس ويا حضرات السادة والسيدات ، أن أقول كلمة موجزة عن وضع المسألة فى طائفة من التشريعات السابقة ، مدنية كانت أم دينية .

مصر فى عهد الفراعنة :

يلوح أن قدماء المصريين لم يكونوا يحظرون الربا حظراً صارماً ، بل وضعوا له نظما وقواعـد تحد من أضراره ؛ ونحن ، وإن لم يصل إلينا نبأ هذه القواعد فى جملتها ، فقد نعلم بعض الشىء عنها .

هذا (ديودور) المؤرخ الأغريقى يحدثنا مثلا عن القانون الذى وضعه الملك (بوخوريس) من ملوك الأسرة الرابعة والعشرين ، والذى يقضى بأن الربا مهما تطاولت عليه الآجال لا يجوز أن يصل إلى مقدار رأس المـال .

أثينا وروما :

أما فى الدولتين الإغريقية والرومانية فإن الربا — قبل ظهور الإصلاحات التى وضعها (صولون) المشرع الإغريقى ، وقبل الإصلاحات التى وضعها مؤلفو

(الألواح الاثنى عشر) فى روما - كان شائعا بدون قيود ولا حدود ، وكان العرف[١] الجارى فى كلتا المملكتين أن المدين إذا لم يوف دينه أصبح هو نفسه ملكا للدائن . فجاء تشريع (صولون) قاضيا على هذه العادة الشنيعة ، حيث قرر أن تكون مسئولية المدين فى ماله وذمته ، لا فى شخصه ورقبته . كما أنه حدد النهاية القصوى التى يمكن أن تبلغها فوائد الدين (يقال إنه حددها بنسبة ١٢ ٪ من رأس المال) . وكذلك صنع واضعو الألواح الاثنى عشر فى روما ، وبقيت هذه النسبة محفوظة فى التشريع الرومانى حتى جاء (جستينيان) فجعلها تدور بين ١٢ ٪ للتجار وأمثالهم و ٤ ٪ للنبلاء .

هذه التشريعات كلها لم تظهر إلا فى أعقاب اضطرابات وحروب داخلية مستمرة بين الأغنياء والفقراء فى تلك الشعوب . فكانت هذه الإصلاحات علاجا وقتيا لتلك المشاكل الاجتماعية الخطيرة التى ولدتها هذه الوضعية الربوية .

هكذا مهما نصعد بنظرنا فى تاريخ التشريعات المدنية القديمة ، نجد أن مبدأ التعامل بالربا كان سائغا فيها ، وأنه كانت توضع له فى بعض الأحيان نظم تحميه إذا لم يجاوز حداً معلوما .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إسبارطة :

غير أن مدينة إسبارطة تبدو لنا فى صورة استثناء من هذه القاعدة العامة : إذ لا يعرف فى تاريخها أنها تعاملت بالربا أو أنها نظمته . وقد يرجع السر فى ذلك إلى أنها — من جهة — لم تكن ذات طابع تجارى واضح ، حتى إنها لم يكن لها نظام نقدى ، بل كانت عمدتها الرئيسية فى التعامل هى المبادلة والتقايض ، ومن جهة أخرى فإن قانونها لم يكن يخول للغرباء الذين يحملون نقود بلادهم أن يدخروا الذهب والفضة ، ومن عرف عنه أنه يكتنز شيئا منها كان جزاؤه الإعدام

---

(١) وكذلك جرى العرف فى كلتا الدولتين بأن الفائدة السنوية يؤديها المدين على أقساط شهرية . فارن هذا بعاده العرب فى الجاهلية أيضا ، كما سيأتيك نبؤه قريبا .

اليهودية والنصرانية :

فإذا ما انتقلنا الآن من المنظمات المدنية الى التشريعات الدينية ، فأننا نشهد ظاهرة جديدة فى تاريخ التشريع فى هذا الشأن . فبعد أن كنا نرى التعامل بالربا فى الشرائع غير الدينية أمراً سائغا فى حدود واسعة أو ضيقة ، نرى التشريعات السماوية تتجه به نحو الحظر والتحريم الكلى .

هكذا نقرأ فى كتاب العهد القديم : « إذا أقرضت مالا لأحد من أبناء شعبى ... فلا تقف منه موقف الدائن : لا تطلب منه ربحاً لمالك » (الآية ٢٥ من الفصل ٢٢ من سفر الخروج) وفى موضع آخر : « إذا افتقر أخوك فاحمله . . . لاتطلب منه ربحاً ولا منفعة » (الآية ٣٥ من الفصل ٢٥ من سفر اللاويين) .

وكذلك نقرأ فى كتاب العهد الجديد : « إذا أقرضتم لمن تنتظرون منهم المكافأة فأى فضل يعرف لكم ؟ . . . ولكن . . . افعلوا الخيرات وأقرضوا غير منتظرين عائدتها . وإذاً يكون ثوابكم جزيلا » (الآيتان ٣٤ و ٣٥ من الفصل ٦ من انجيل لوقا) . ولقد أجمع رجال الكنيسة ورؤساؤها كما اتفقت مجامعها على أن هذا التعليم الصادر من السيد المسيح عليه السلام يعد تحريما قاطعا للتعامل بالربا . حتى إن الآباء اليسوعيين الذين يتهمون غالبا بالميل الى الترخص والتسامح فى مطالب الحياة وردت عنهم فى شأن الربا عبارات صارمة ، منها قول سكوبار : إن من يقول إن الربا ليس معصية يعد ملحدا خارجا عن الدين ، وقول الأب بونى : « إن المرابين يفقدون شرفهم فى الحياة الدنيا ، وليسوا أهلا للتكفين بعدموتهم[1] » .

أوربا المسيحية :

هذه النظرة الدينية أقرها القانون المدنى الأوربى فى سنة ٧٨٩ (مرسوم إيكس لاشابيل) وبقيت هى المذهب الوحيد فى أوربا طوال القرون الوسطى . ولكنها بدأت تفقد مناعتها شيئا فشيئا منذ عصر النهضة ، على أثر الاعتراضات المتكررة التى وجهت إليها بين القرنين السادس عشر والثامن عشر من (كالفان) إلى (مونتيسكيو) . وكان لهذا الضعف مظهران : مظهر عملى ، ومظهر تشريعى .

(١) انظر باسكال فى مرسلاته الاقليمية ، الخطاب الثامن Pascal, Les provinciales

فأما المظهر العملى فهو أن بعض الملوك والرؤساء الدينيين أنفسهم أخذوا يجترئون على انتهاك هـذا التحريم علنا . من ذلك أن (لويس الرابع عشر) اقترض بالربا ليسدد ثمن دانكرك فى سنة ١٦٦٢ وأن البابا (بى التاسع) تعامل بالربا فى سنة ١٨٦٠ . وأما المظهر التشريعى فهو أنه منذ آخر القرن السادس عشر (١٥٩٣) وضع استثناء لهـذا الحظر فى أموال القاصرين (١) فصار يباح تثميرها بالربا بإذن من القاضى .

أما الضربة القاضية التى وجهت إلى هذه النظرة الدينية فقد حملتها إليها الثورة الفرنسية حيث احتضنت المذهب المعارض وجعلته مبدأ رسمياً منذ قررت الجمعية العمومية فى الأمر الصادر بتاريخ ١٢ اكتوبر سنة ١٧٨٩ أنه يجوز لكل أحد أن يتعامل بالربا فى حدود خاصة يعينها القانون .

بلاد العرب قبل الإسلام :

لم يكن قد بقى لعرب الجزيرة فى الجاهلية من التراث الدينى الذى تركه جدهم ، أبو الأنبياء ، إبراهيم عليه السلام ، إلا آثار قليلة لا تخلو من التحريف . ولذلك لم يفتأوا يتبعون أهواءهم ونزعاتهم المادية فى أكثر عباداتهم ومعاملاتهم . وكان من ذلك تعاملهم بالربا بدون قيد من عرف ولا تشريع . ولعل مرد هذا (أولا) إلى نزعة الاستكثار وحب الكسب التى تنمو عادة فى البيئات التى تزدهر فيها التجارة كما كان هو الحال فى مكة (وثانياً) إلى علاقتهم المستمرة باليهود ، الذين هم جيرانهم وأبناء عمومتهم .

ولعلكم تعجبون أن تكون مجاورتهم لشعب ذى شريعة سماوية تحرم الربا سببا فى تشجيعهم على التعامل به ، ولكن الذى يزيل هـذا العجب أن نعرف أن هذه الديانة نفسها — حسبما ورد فى كتب أهلها — تبيح الربا كما تحرمه . نعم لقد سقنا آنفا شواهد التحريم من نصوص التوراة ، ولكننا وا أسفاه نجد فيها نصاً

---

(١) قارن هذا بالرخصة التى أخذت بها المحاكم فى عهد الدولة العثمانية ، اعتماداً على الفتوى الواردة فى كتب الحنفية .

آخر يتميد هذا التحريم ويجعله خاصاً بالشعب العبرانى ، بحيث يسوغ لليهودى أن يأخذ الربا من غير اليهودى (١) (الآية ٢٠ من الفصل ٢٣ من سفر التثنية) . ولما لم يكن فى هذا النص تحديد قانونى لقدر الربا المأذون فيه كان ذلك فتحاً لباب الاستغلال المالى على مصراعيه بحيث يدخله أشد أنواع الربا فداحة وإفراطا .

هكذا كان هذا النص المنسوب للقانون الموسوى سببا فيما نرى (أو جزءا كبيرا من السبب) لا فى بقاء التعامل بالربا فى العالم إلى اليوم فحسب ، بل فى تهوين أمره على كثير من النفوس واتخاذها إياه أمرا مشروعا فى بعض الأحوال .

ومهما يكن من أمر فقد اعتاد العرب فى عصور الوثنية أن يقترضوا بالربا من اليهود وأن يتقارضوا به فيما بينهم ، دون أن يجدوا فيه حرجا ولا غضاضة .

وقد عرفت لهم فى ذلك أنواع مختلفة من العقود الربوية . وأكثرها انتشارا فيما بينهم كانت تبدأ المحاسبة فيه - على ما يظهر - من السنة الثانية ؛ بمعنى أن الدائن لا يطلب من مدينه شيئاً وراء رأس المال إذا وفاه دينه فى أجله المعلوم . فإن لم يستطع أداءه فى ذلك الأجل اتفقا على تأجيله سنة ثانية فى مقابل زيادة يختلف مقدارها على حسب التراضى بينهم . ونضرب مثلا : مديناً كان عليه أن يسلم للدائن فى أجل كذا حيوانا سنه ثلاث سنوات . فإذا لم يدفعه إليه فى ذلك الموعد أجله إلى السنة التالية ، لكن الحيوان يجب أن تكون سنه إذ ذاك أربع سنوات . ولقد كانت تصل الزيادة فى بعض الأحيان إلى قدر رأس المال فى آخر السنة الثانية فتصبح المائة مائتين ؛ فإن لم يؤد تضاعف رأس المال والفائدة معا فيصيران أربعمائة فى آخر السنة الثالثة وهكذا .

وضرب آخر من هذه العقود أن يدفع الدائن لمدينه قدراً من المال لسنة ، على أن يأخذ منه فائدة معينة كل شهر ؛ فإذا جاء آخر السنة ولم يرد رأس المال اتفقا على فوائد أخرى للتأخير .

---

(١) معروف رد القرآن (فى الآيتين ٧٥ و ٧٦ من السورة الثالثة) على هذه الدعوى التى لا تدع لعانون الفضيلة إلا مجالا محدوداً للتطبيق ؛ مع أن مبادىء الأخلاق يجب أن تكون عالمية لا حدود لها من جنس ولا لون ولا عقيدة ولا إقليم .

البلاد الإسلامية فى العصر الحاضر :

لقد جاهد الإسلام والمسيحية قرونا متطاولة لا لمنع قانونية الربا فحسب ، بل لمنع التعامل به إطلاقا .

بيد أننا رأينا آنفا كيف انتهى الأمر بالثورة الفرنسية فى آخر القرن الثامن عشر أن قضت على هذه المقاومة فى أوربا ، وأقرت النظام الذى بقى فيها منبوذاً طوال ألف عام كاملة .

وكان طبيعيا أن تؤدى العلاقات المستمرة بين أجزاء العالم القديم إلى انتشار هذه الفكرة المادية رويداً رويداً وانتقالها إلى خارج أوربا . وهكذا لم ينتصف القرن التاسع عشر إلا وقد سرت عدواها إلى البلاد الإسلامية ، فبدأ بعض المسلمين يتعاملون بالربا لا إقراضاً ، بل اقتراضاً ؛ ثم اتسع الأمر وشاع عمليا ، مع بقائه محظوراً قانونياً ؛ ثم دخل الإذن به فى دائرة التشريع تحت ضغط السلطات الأوربية المحتلة للأقطار الإسلامية ؛ وبقيت الشعوب الإسلامية نفسها مدة طويلة متمردة على فكرة تأسيس مصارف وطنية تكون مهمتها التصرف فى جميع المعاملات المالية التى منها القرض بفائدة .

ونذكر فيما يتعلق بمصر على الخصوص أن هذه المقاومة الشعبية بدأت تضمحل فى أول هذا القرن العشرين ، بسبب حادث تاريخى خاص أثار فيها أزمة مالية وأزمة نفسية فى وقت واحد . نعم لقد حدث إذ ذاك أن امتنعت المصارف الأجنبية المؤسسة فى مصر عن مد يدها بالقرض إلى الشعب المصرى ، فأصبح الشعب وقد وجد نفسه أمام محظورين لا مخرج له منهما : إما أن يلجأ إلى المرابين الذين ليس فى قلوبهم رحمة يقترض منهم بأفدح الربا وأخطره ، وإما أن ينشىء شركة مالية برؤوس أموال وطنية خالصة ، يقترض منها المحتاجون بشروط غير مجحفة .

ومالت بعض النفوس إلى اختيار الشق الثانى غير أنه وقفت أمامها اعتبارات دينية قوية . إذ كيف تقوم فى بلد إسلامى مؤسسة مالية مخالفة لقواعد القرآن ؟

هنالك فتح باب المناقشة فى الصحف وفى الأندية المختلفة ، وألقيت سلسلة من المحاضرات [١] عرضت فيها مختلف الآراء فى الموضوع من حيث تحقيق المبدأ الإسلامى ؛ فالتقت آراء أكثر المحاضرين على رفض المشروع من الوجهة الدينية . غير أن فريقاً (منهم الكاتب المشهور المرحوم حفنى ناصف . والزعيم السياسى الوطنى المرحوم عبد العزيز جاويش) أيدوا الفكرة معتمدين على نص قرآنى فى دعوى أن الربا المحظور فى الإسلام بالنص والإجماع إنما هو الربا الذى يصل إلى مثل رأس المال أو يزيد عليه ، وأن كل ربح ينقص عن مقدار رأس المال ، فهو محل بحث واختلاف فى نظرهم .

البحث تكملة

غاية العدل

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فقد عمر بن الخطاب يوما إبل الصدقة ، فوجد بينها طائفة أنكرها . لجودتها وسمنها وحسن العناية بها . فقال لعامله على إبل الصدقة : إبل من هذه ؟ فقال العامل : إنها إبل عبد الله بن عمر ! ! فقال ، ومن عبد الله بن عمر ؟ فقال العامل : ابن أمير المؤمنين فقال : على به ! فأحضروه . فقال عمر لابنه : بكم اشتريت هذه الإبل ؟

فقال عبد الله : اشتريتها بكذا يا أمير المؤمنين . فقال عمر : لك ما اشتريت به ، وهى لبيت المال . قال عبد الله وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعم يقولون : هذه إبل ابن أمير المؤمنين فارعوها . هذه إبل ابن أمير المؤمنين فاسقوها . هذه إبل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها ، لك ما اشتريت به ، ثم هى لبيت مال المسلمين !

---

(١) كان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩١٢ م)

التفسير

سورة النساء

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم النمر

قال الله تعالى : « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيط » (١٠٨) سورة النساء

سبق فى الأعداد السادس والسابع والثامن من العام الماضى أن تناولت تفسير الآيات السابقة التى بدأت بها قصة هؤلاء المتآمرين على الحق من قوله تعالى « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذى يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما » .

واليوم أتناول هذه الآية التى تكشف عن نفسية هؤلاء المتآمرين وتفضح تآمرهم فيقول الله تعالى : ـ

« يستخفون من الناس » أى يستترون يقال استخفيت أى تواريت واستترت ومنه قوله تعالى « ومن هو مستخف بالليل » أى مستتر والمعنى على هذا أنهم بمجاداتهم عن السارق والدفاع عنه مدفوعون بالرغبة فى الاستتار من الناس حياء منهم حتى لا ينفضحوا أمامهم .

« ولا يستخفون من الله » أى ولا يستحون من الله ولا يرغبون فى الاستتار منه وإلا لرجعوا عما هم فيه ، مع أن الأولى بهم الخوف منه وعدم ارتكاب الذنوب حياء من جلاله .

« وهو معهم » بعلمه مطلع عليهم لا تخفى منهم خافية « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » فالمعية هنا معية علمية فمحال أن يغيبوا بعملهم عن علمه أو أن يستتروا عنه كما يستترون عن الناس

وكان الأجدر بهم لو كانوا عقلاء ـ أن يفهموا هذا ويراعوه فلا يقبلوا على الذنب مهما كان فيه من نصر رخيص أو لذة عاجلة .

« إذ يبيتون مالا يرضى من القول » تصوير لاستخفافهم وحالتهم المعيبة . وبيت الأمر : دبره ليلا إذ أن فيه مجالا فسيحاً للتدبير والاستتار عن أعين الناس ثم أطلق على كل تدبير بالليل أو النهار والعرب تقول : أمر بيت بليل إذا أحكم تدبيره إذ فى التبييت معنى التدبير والإحكام فيما يدبر ، إذ لو جاء طبيعياً لما قيل : بيت

والذى لا يرضاه الله من القول ، هو اتهامهم للبرىء ، والحلف الكاذب ، وشهادة الزور ، وتعاونهم فى الإثم ، وسمى المدبَّر والمبيت قولا . إما لأن الكلام الحقيقى هو المعنى القائم بالنفس فيكون القول قد جاء على الحقيقة وإما لأنهم دبروا ورتبوا كلاما يقولونه للرسول دفاعا عن المتهم ، فيكون التعبير بالقول قد جاء على الحقيقة كذلك وهذا هو الأقرب فى الفهم والواقع .

« وكان الله بما يعملون محيطا » مطلعاً وعالما بأعمالهم الظاهرة والباطنة لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وسيجازيهم على ذلك ، وفى معناه ـ من الإنذار والتخويف ـ جاء قوله تعالى فى آية أخرى : « والله يكتب مايبيتون » إذ الغرض من هذا وذاك أنهم سيحاسبون على تبييتهم وتدبيرهم وسيلقون جزاء ماصنعوا فعليهم أن يحذروا عذاب الله .

جاء الإسلام بالتوحيد الخالص الكامل ليرفع الإنسان من الأرض إلى السماء ويجعله دائماً مرتبطاً بالواحد القهار لاسلطان لأحد عليه إلا بسلطان الله والإسلام بهذا يرفع من قدر الإنسان ويضعه فى أكرم ما يبتغيه الأحرار العقلاء لأنفسهم الذين يحبون أن يتحرروا من قيود الأرض ليعيشوا داخل حدود الله سعداء يراقبونه وحده ويعملون على مرضاته هو ، رضى العباد أم سخطوا أحبوا أم كرهوا :

فياليت ما بيى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

والناس إن فهموا هذا وساروا عليه وتشربوا لذته عاشوا سعداء أصفياء وماتوا أتقياء ، لهم فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة . ولكنهم رغم هذا يخالط نفوسهم ظلام الطين وتراودهم نزغات الشياطين فتحجب عنهم نور هذه الحقائق وتحول بينهم وبين نور السماء . وتقطع بينهم وبين ربهم ، فيتيهون فى بيداء شهواتهم

ويتخبطون فى ظلام أرضهم ويعيشون يراقب بعضهم بعضاً ، ويخشى بعضهم بأس بعض ، ناسين الرقيب الأعلى مؤثرين اليوم على غدهم والناس على ربهم ، وفى ذلك الخطر الأكبر على الإنسانية ، ولهذا نرى الله سبحانه يلفت نظر عباده فى أكثر من موضع فى القرآن إلى أن يتحرروا من خوف الناس فلا يخافوا إلا هو ولا يكونوا عبيداً إلا له ليعيشوا أسياد أنفسهم ، ولتكون أعمالهم كلها كما يحب الله ويرضى ، فيقول فى سورة البقرة لعباده المؤمنين « فلا تخشوهم » أى الناس ، واخشونى ، ويقول لهم فى مناسبة أخرى فى خطاب اللائم الموجه « أتخشونهم ؟ ! ! فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » لأن من خصائص الإيمان الاتجاه إلى الله والخوف منه وحده ، ويقول فى موضع آخر ذما لفريق من الناس « فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » .

وفى موضع آخر يقول : « فلا تخشوا الناس واخشونى . ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا » ، ويقول فى الآية التى معنا وصفا لهؤلاء المتآمرين على الحق المتعاونين فى الإثم والعدوان تشنيعاً عليهم وذما لهم أبلغ ذم أنهم « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم » .

كل هذا ومثله كثير فى القرآن والحديث ليربى فى نفس المؤمن روح المراقبة مراقبة الله سبحانه فى كل حالاته : فى صحوه ونومه فى سره وجهره فى عمله وراحته فيعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه ، وحينئذ تجىء أعماله طيبة كلها ، فيستهين بما عند الناس أملا فيما عند الله ، وما عند الله خير وأبقى - ويزهد فى الكسب الحرام والجاه القائم على الملق والعصيان إيثاراً لرضا الله والتقرب منه . ولو أن الناس نمت فى نفوسهم روح المراقبة لله لوجدتهم جميعاً رجالا صالحين ولوجدت أممهم سعيدة بهم عزيزة بأعمالهم ، ولكنهم فى غمرة ساهون شأنهم كشأن هؤلاء الذين يقص الله أخبارهم علينا للعظة والاعتبار ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، يتآمرون على الحق ويدبرون الأمر للقضاء عليه طمعاً فى جاه خاطف أو فى منزلة عند الناس ، أو خوفا من الفضيحة أمامهم ويرتكبون فى سبيل ذلك من الإثم والعدوان ما يرتكبون ، ناسين أن الله عليهم رقيب حسيب وأن أمامهم يوما فيه ، تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » . . فاعتبروا يا أولى الأبصار ، « إن الله كان عليكم رقيبا » . هدانا الله وجعلنا من أهل المراقبة له والخشية منه .

حكم الختـــان

فى الشريعة الاسلامية

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت

صورة ما أرسله فضيلة الأستاذ الكاتب الى حضرة
صاحب المعالى وزير الصحة فى ٢٨ / ٥ / ١٩٥١

الختان شأن قديم ترجع معرفة الناس به إلى عهد ابراهيم عليه السلام ، وكانوا يختنون الذكور والإناث . وقد رويت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث ، اتفق المحدثون على صحة بعضها ، وضعّف البعض الآخر ؛ فما اتفق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم « خمس من الفطرة : الاستحداد والختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الأظفار » ، وقوله عليه الصلاة والسلام « اختتن ابراهيم خليل الرحمن » وهو متفق عليه بين البخارى ومسلم .

وقال العلماء : الفطرة السنة القديمة التى اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع ، وكانت لذلك كالأمر الجبلى الذى تدعو إليه الخلقة ، وتقتضيه . فيما يختص بالتطهر والنظافة .

ومما ناله تضعيف المحدثين قول النبي صلى الله عليه وسلم « من أسلم فليختتن » وقوله لمن جاء إليه وقد أسلم « ألق عنك شعر الكفر واختتن » ، وقوله للمرأة التى كانت تختن الإناث « أشهى ولا تنهكى » ومعناه : خفضى ولا تبالغى فى القطع . وقوله « الختان سنة فى الرجال مكرمة فى النساء »

* * *

وأمام هذه الأحاديث اختلف الفقهاء فى حكم الختان ، شأنهم فى كل مالم يرد فيه نص صريح قاطع .

فرآى الشافعية أنه واجب فى الذكور والإناث ، ووافقهم الحنابلة على الوجوب فى الذكور فقط . ورأى الحنفيـة والمـالكية أنه سنة فى الذكور ومكرمة فى الإناث .

وقد قال الإمام الشوكانى بعـد استعراض المرويات فى الموضوع من جهة الرواية والدلالة ، والحق أنه لم يقم دليل صحيح يدل على الوجوب ، والمتيقن السنية كما فى حديث « خمس من الفطرة ونحوه » والواجب « الوقوف على المتيقن إلى أن يقوم ما يوجب الانتقال عنه » .

ومن هنا يتبين أن الأدلة لا تعطى أكثر من أن الختان سنة . وقد كان العموم فى حديث السنية الصحيح وهو « خمس من الفطرة » يقضى بالمساواة بين الذكر والأنثى فى سنية الختان . ولـكن كثيراً من المذاهب رآى أنه مكرمة ، فى الإناث ، وسنة فى الذكور ، ولعل هـذه التفرقة ترجع فيما وراء الأحاديث إلى اعتبار آخر يقضى بأهمية الختان فى الذكر ، والتأكيد فيه ، وهو أن داخل القلفة منبت خصب لتكون الافرازات التى تؤدى إلى تعفن ، يغلب معه تكون جراثيم لأمراض ضارة . وإلى هذا الاعتبار يشير الإمام أحمد بقوله فى الفرق بين الذكر والأنثى « ان الرجل إذا لم يختتن فتلك الجلدة مدلاة على الكمرة ، ولا يتقى ما ثم » .

ونظرا إلى أن ختان الذكر كان دائرا عند الأئمة بين الوجوب والسنية المؤكدة ، وفيه هـذا الاعتبار الوقائى الذى تعنى به الشريعة أيمـا عناية ـ قال الفقهاء ـ « إنه من شعائر الإسـلام حتى لو اجتمع أهـل مصر أو قرية على تركه يحاربهم الإمام وهذا فى الذكور خاصة . أما الأناث فلعدم تحقق هذا الاعتبار الصحى فيهن فقد نزل الحكم فيهن عن درجة السنية إلى درجة المكرمة . ولعل ذلك يرجع إلى أن تلك « الزائدة » من شأنها أن تحدث عند المماسة مضايقة للأنثى ، أو للرجل الذى لم يألف الاحساس بها ، ويشمئز منها ، فيكون خفضها مكرمة للأنثى ، وفى الوقت نفسه مكرمة للرجل فى الفترات المعروفة .

وختان الأنثى بهـذا الاعتبار لايزيد عما تقتضيه الراحة النفسية ، واستدامة العـاطفة القلبية بين الرجـل وزوجه من التزين ، والتطيب ، والتطهر من الزوائد الأخرى التى تقترب من هذا الحى .

أما ما يراه بعض الناس من لزوم ختان الأنثى نظرا إلى أن تركه يشعل لديها الغريزة الجنسية فتندفع إلى ما لا ينبغى فهو مما يحتاج فى قبوله وترتيب الحكم عليه إلى فحص واستقراء غالب ، على أن الانزلاق إلى ما لا ينبغى كثيرا ما يوجد فى المختونات كما هو معروف فى الجنايات العرضية ، والمستور منها أكثر مما يعرف الناس . والواقع أن الشأن فى هذا لا يرجع إلى ترك الختان ، وإنما يرجع - كما قررته الدكتورة كوكب حفنى ناصف - إلى سلامة البنية ، ونشاط الغدد وضعفهما ، ثم - من جانبنا - يرجع أيضا إلى الخلق ، والبيئة ، والرعاية فى التربية ، والاشراف والحزم فى المراقبة ، والقبض على ناصية الأمر ، وعدم إرسال الحبل على الغارب فى الاختلاط الذى كاد يقضى على العفة والكرامة .

وكذلك ما يراه بعض آخر من منع الختان نظرا إلى أنه يضعف فى الأنثى النزعة الجنسية فيحتاج الرجل تمكينا لها من تلك النزعة إلى الاستعانة بتناول المواد المعروفة ، ومن ذلك وجب ترك ختانها حفظا للرجل من تناول هذه المواد الضارة .

والواقع فى هذا الاعتبار أن الذين يعتادون تناول هذه المواد لا يقصدون سوى تلبية نزعتهم الخاصة فى الجانب الجنسى ، وأن كثيرا منهم يتناولها لعادة تحكمت فيه ، وصارت بها لديهم من المكيفات اللازمة كما هو الحال عند مدمنى الشاى والدخان .

ومن هذا نرى أن هذا الاعتبار لا ينهض حجة فى منع ختان الأنثى ، كما أن الاعتبار السابق لا ينهض حجة فى لزومه . ولذلك سلم لغير الشافعية من الفقهاء القول بأن ختان الأنثى ليس واجبا ولا سنة ، وإنما هو مكرمة للرجال أو النساء .

* * *

هذا والشريعة تقرر مبدأ عاما وهو ، أنه متى ثبت بطريق البحث الدقيق - لا بطريق الآراء الوقتية التى تلقى تلبية لنزعة خاصة ، أو مجاراة لتقاليد قوم معينين - أن فى أمر ما ضررا صحيحا ، أو فسادا خلقيا وجب شرعا منع ذلك العمل دفعا للضرر أو الفساد ، وإلى أن يثبت ذلك فى ختان الأنثى فإن الامر فيه

على ما درج عليه الناس وتعودوه فى ظل الشريعة الإسلامية ، وعلم رجال الشريعة من عهد النبوة إلى يومنا هذا ، وهو أن ختانها مكرمة وليس واجبا ولا سنة .

أما ما يراه بعض الكاتبين من أنه « عملية وحشية » فمن رأيى أنه إسراف فى التعبير ومبالغة فى التنفير ، وقد تكون « الوحشية » المتخيلة فى أصل ختانها ناشئة من تحكيم الحال فى عمليات يجريها الجاهلات المحترفات لهذه العملية . ويرجع ذلك إلى تقصير أولياء الأمر فى مراقبة هذا الجانب ، ومنع من لا يحسن العملية من مباشرتها ، والشريعة تقرر فى هذا وأمثاله وجوب الحجر على المتطبب الجاهل والجراح الجاهل ، وتوجب على أولياء الأمر حفظا لصحة الناس ، ووقاية لهم من الضرر منع من يسيئون فى الأعمال العامة . كما توجب تعزيرهم عند المخالفة بما يردعهم ويردع أمثالهم .

أما بعد :

فهذا هو حكم الشريعة - فيما نرى - فى موضوع الختان أخذا من النصوص ومقارنة الأدلة ، نبعث به إلى معاليكم تلبية لرغبتكم الشريفة ، واستجابة لداعى الحق والدين .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ما يصفو به الود

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى نكبته ، وغيبته ، ووفاته .

وقال أبو العتاهية :

أحب من الإخوان كل مُوَاتى ... وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده ... ويحفظنى حيا وبعد مماتى
ومن لى بهذا ليت أنى وجدته ... فتقاسمته مالى من الحسنات

فى الازهر ورسالته واصلاحه

لحضرة الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
مدرس الشريعة الإسلامية المساعد بكلية الحقوق

نحن الآن فى مستهل عام جديد من أعوام المجلة الغراء ، وفى مفتتح عهد جديد للأزهر نرجو أن يكون مباركا ، لهذا رأيت أن أتقدم فى هذا العدد بهذه الكلمة ، وهى خلاصة تجارب إحدى وأربعين عاما قضيتها بالأزهر طالبا ومعلماً ، ونتيجة مقارنات بين الأزهر وأمثاله من المعاهد العلمية والجامعات بأوربا ، والله المستعان الموفق لما فيه الخير .

---

١ — الأزهر ليس لهذا الجيل وحده ، ولا مصر وحدها ، بل للأمة الإسلامية جميعا ، وهو كما لمست هذا بنفسى بأوربا المعهد الذى يخشاه رجال الغرب والمستعمرون بخاصة ، ويحسبون لوجوده حسابا كبيراً وإن كانوا — الأسف — قد بدأوا يعرفون ضعف أثره فى توجيه الحياة فى مصر ، بله الأمة الإسلامية كلها . ولا أدل على ضعف هذا الأثر من قيام كثير من النظم التى تتعارض مع الإسلام ومن أن القائمين على الحكم فى كل العهود لا يكادون يتساءلون عن مبلغ رضاء الأزهر أو سخطه حيال هذا الأمر أو ذاك قبل تقريره .

وهذا المعهد الجليل مهدد بالزوال ما لم تتحدد الغاية ، وتصطنع الوسائل التى تؤدى إلى هذه الغاية ، وهذه الغاية يجب أن تتحد على ضوء الحياة فى العصر الذى نعيش فيه ، ومعنى هذا أن الأزهر ، مثله مثل كل المؤسسات والكائنات الحية ، يجب أن يتطور مع الزمن ، وذلك ليستطيع أن يؤثر أثراً بليغاً فى حياة العصر ، إن لم نقل يسيطر عليها ، بتوجيهها إلى أنبل الغايات على أساس الإسلام وتعاليمه الخالدة .

٢ — وفى الناحية العلمية فى الدراسات الإسلامية وما يتصل بها ، نجد الأزهر تخلى عن الصف الأول ، فصار العدد الأكبر الذى برز فى الدراسات الإسلامية والتأليف فيها ، والذى تقرأ لهم مصر والبلاد العربية عامة ، من غير الأزهريين .

وأقول هذا وفى النفس منه غصة وألم شديد ، ولكنه الواقع فعلا ، والمطابع ودور النشر تقدم على هذا دليل أى دليل ! وعلاج هذا ، فى رأينا ، يكون بتشجيع العاكفين على الدرس والبحث والإنتاج ، وعدم نقل أى مدرس للكليات إلا إذا شهد له بذلك مؤلفات منشورة قيمة ، وجعل الترقية فى هيئة التدريس بالكليات نفسها مشروطة كذلك ببحوث أصلية منشورة ، وبدهى أن هذا كله يجب أن يلاحظ تماما فى الترقية للمراكز العلمية الرسمية العامة أى التفتيش ومشيخة المعاهد والكليات .

٣ — والأزهر ، منذ زمن طويل ، بعيد عن شئون الإدارة والحكم فى البلد ، وذلك لأسباب وعوامل نعرفها جميعاً . ولكنه يستطيع بلا شك أن يساهم بقوة فى التوجيه لما يريد من غايات ، وهذا يكون لو وضع القائمون عليه ذلك نصب أعينهم وعملوا له ، ولو أحسنوا تحبيب الدين والشريعة الإسلامية للناس بعرضهما عرضاً ، طيباً ، ولو كانوا فى أفعالهم مصداق أقوالهم ولم يكتفوا بالوعظ والنصح لغير سميع ؛ إذ من طبيعة النفس ألا تسمع ، سماع امتثال وقبول ، إلا لمن يكون قدوة طيبة فيما يقول .

٤ — ثم الأزهر بما عكف عليه من علوم نقلية ، يدرسها من كتب معينة ألفت فى عصور خاصة ؛ وبإعراضه إلى حد ملحوظ عن الدراسات التى تقوم على العقل ونظره ، لا على تقليد الأقدمين فحسب ؛ وبهجره تماما ما كان يعنى به الأسلاف من الأزهريين أنفسهم من علوم الحياة العملية ، مثل الطب والطبيعة والكيمياء والرياضات العالية ، وبانطواء أهله على أنفسهم ، حتى كأنهم يعيشون فى وطنهم على هامش الحياة — نقول ، بسبب هذا كله ، وربما لأسباب وعوامل أخرى ، قد صار لنا معشر الأزهريين فهم خاص للحياة ، وعقلية خاصة نحيا بها ، وتقدير خاص نقدر به الأمور ، ومقاييس للحق والباطل والخير والشر لا تتفق كثيراً ومقاييس طوائف الأمة الأخرى .

وكان من هذا أن انفرجت زاوية الخلف بين الأزهريين وإخوانهم فى الدين والوطن . وكان من هذا خلاف شديد فى الرأى تشقى به الأمة كثيراً وتتفرق بسببه الأهداف والغايات والوسائل والجهود ، ونتيجة هذا كله إعراض عن الأزهر ،

وعدم استماع لرأيه فى جلائل الأمور ، وكأن الأزهر غفل عن أن العالم يتطور ، وأن هذا التطور سنة من سنن الحياة لا يفلت منها كائن حى ؛ وكأن القائمين على الأمر فى الدولة يغفلون عن أن مصر مدينة بزعامتها فى العالم الإسلامى ، وبمركزها فى الغرب ، للأزهر وحده ، وعن أن الأمة الإسلامية لا تستطيع بحال ما ، الاستغناء عنه أو التفريط فيه ! لهذا يكون على الأزهر أن يعى ذلك تماما ، وأن يعد لكل أمر عدته فيساير تطور الزمن فيما فيه خيره وخير مصر والإسلام جميعاً ، ووسائل هذا كله ميسورة تذكر حين نريد الدخول فى التفاصيل . وإن كنا نشير هنا إلى ما سبق أن نشرناه فى الصحف ، منذ أكثر من عام من وجوب توحيد التعليم العام فى مصر على أساس التمكين للشبيبة كلها فى الابتدائى والثانوى من الثقافة الإسلامية الصحيحة . وعلى أساس أن تكون فى نهاية التعليم الثانوى مرحلة توجيهية فى الدين والدراسات الإسلامية ، يغذى المتخرجون منها كليات الأزهر وكلية دار العلوم.

٥ — والأزهر بعد هذا ، هو رباط ما بين الشعوب الإسلامية ، والمركز الثقافى الإسلامى الأكبر الذى يفد إليه كل عام العدد الكبير من ناشئة البلاد الإسلامية . لهذا نرى من المحزن ما تحققناه من أن أكثر هؤلاء الوافدين على الأزهر من غير مصر ، وقد صاروا يعدون بالآلاف ، لا يجدون عندنا ما كانوا يرجون من عناية خاصة وتوجيه ، حتى يفيدوا أكبر فائدة من مقامهم بيننا ، وحتى يكونوا متى انقلبوا إلى بلادهم رسل خير وصلاح ، وسفراء لمصر والإسلام أينما وجدوا ، وذلك لا يكون إلا بالاهتمام اهتماما جاداً بمراقبة البعوث ، وتعرف حاضر العالم الإسلامى بلداً بلداً ، ليكون من الممكن معرفة حاجة كل بلد من الثقافة الإسلامية لوناً وقدراً .

٦ — والأزهر ، مع ذلك كله ، جامعة ، بل أقدم الجامعات العالمية وأمجدها تاريخا ، ، ولكل جامعة طابعها وأهدافها وتجاربها وتطوراتها ، وربما شاركتنا بعض الجامعات الأخرى ، فى الشرق أو الغرب ، فى بعض ما نهدف إليه من غرض وغاية وخالفتنا فى الطرق والوسائل . من أجل هذا ، نرى أن على الأزهر بهذا الاعتبار - ولأنه صار له من أبنائه نفر عرفوا غير قليل من جامعات الغرب - أن يحرص على الاتصال الصحيح بهذه الجامعات ، ففى ذلك خير كبير : تعاون فى الوصول إلى الهدف المشترك ، وقوف على تطور بعض العلوم التى نعنى بدراستها

وعلى ما جد فيها من حقائق جديدة ، إلى غير هذا أو وذاك مما نربحه من الاتصال الحق بهذه الجامعات .

٧ — وعلى الأزهر إشاعة التربية الدينية والثقافة الإسلامية بين أبناء مصر جميعاً . لقد لاحظ كثير منا فى ألم شديد مقدار جهل كثير من أبناء الأمة بالدين وثقافته جهلا فاضحاً ، وعذرهم أنه لم يتح لهم أن يختلفوا إلى دروس الأزهر ومعاهده ، وأن مدارس الحكومة الرسمية لا تقوم بالواجب فى هذه الناحية . لهذا نعتقد أن من الخير الكثير أن ينشىء الأزهر فى الأقاليم والمدن المختلفة ما يمكن أن يسمى : « مراكز الثقافة الإسلامية الشعبية » . وفى هذه المراكز تلقى دروس ومحاضرات مسائية لمن يريد هذه الثقافة الإسلامية على غرار مؤسسات الجامعة الشعبية . حينئذ تتاح الفرصة لكل من يريد من المسلمين والمصريين جميعا معرفة الدين الإسلامى فى عقائده وعباداته ، والإلمام بالثقافة الإسلامية فى ألوانها المختلفة

ولا نريد أن يكون إنشاء هذه المراكز عبئاً على الميزانية ، فإنه من الممكن استخدام المعاهد الدينية فى المدن التى بها معاهد ، واستعارة قاعات للمحاضرات من مبانى الحكومة فى المدن الأخرى ؛ على أن يكلف مدرسو المعاهد الدينية القيام بهذه المحاضرات ، فضلا عن التبرع الإلزامى رسميا بنحو ١ ٪ من مرتباتهم جميعا للقيام بما يلزم لهذا المشروع من نفقات . إن هذا المشروع حين يتم على نحو هذا الوجه ، يعطى للأمة الدليل الملموس على أن أبناء الأزهر يعطون من أموالهم ومن أنفسهم للأمة وفى سبيل الدين ، كما يسد نقصا ملحوظا فى مناهج وتقسيمات مؤسسات الجامعة الشعبية التى شملت كل الثقافات العامة ماعدا الثقافة الدينية الإسلامية

٨ — إن كثيراً من المسلمين ، بله غير المسلمين وغير الشرقيين ! ، لا يعرفون الإسلام معرفة يمكن أن تكون صحيحة وكافية ولو تجوزا . فمن الواجب إذا ، أن يصدر عن الأزهر كتاب عن الإسلام : عقيدة ، وأخلاقا ، وتشريعا ، ونظاما اجتماعيا ، ومذهباً اقتصاديا ، إلى سائر نواحيه المختلفة حتى الدولى منها . ثم ، أن يترجم هذا الكتاب للغات جميعها فى الغرب والشرق ، ويوزع فى أقطار الأرض كلها . بهذا وحده — لا بترجمة القرآن لو كان هذا ممكنا — يستطيع أن يعرف الإسلام حق المعرفة من يريد ، وبهذا نكون قد أدينا واجباً لهؤلاء الحائرين فى

الغرب الذين يبحثون عن دين يسير فهمه ، ويتفق مع مقتضيات هذا العصر ، وما أكثر ما لقينا من هؤلاء الحائرين فى أوربا ! كما نكون قد أدينا واجباً للإنسانية كلها وللحقيقة ، لأن أكثر ما كتب عن الإسلام تعوزه الدقة والإنصاف

٩ — وأخيراً ، لقد لمس الأزهر هذه الأيام قلة الذين يحذقون لغة من لغات الغرب ، ولهذا أوفد بعض أبنائه لذلك بانجلترا ؛ حتى إذا عادوا للوطن ، أمكن أن يسدوا بعض حاجات الشعوب والبلاد الإسلامية التى تطلب من الأزهر إمدادها بمن يثقفهم بثقافة الإسلام باللغة الإنجليزية .

ونعتقد أن الأمر بحاجة إلى من ينظر إليه نظرة أوسع وأعمق . يجب فى رأينا أن تعلم بعض اللغات الغربية فى الأزهر تعليما جاداً فى المرحلة الثانوية والعالية ، وبجانب هذه اللغات يجب كذلك تعليم بعض اللغات الشرقية كالصينية والأوردية ، وبخاصة هذه لأنها لغة الباكستان الوطنية ، ومن هؤلاء الذين يتعلمون هذه اللغات ويجيدونها ، يمكن الدعوة للإسلام ونشر الثقافة الإسلامية فى هذه البلاد .

وبعد ! فهذه كلمة عن بعض ما أرى فى إصلاح الأزهر ليؤدى رسالته كاملة ، وأرجو أن يكون فى نشرها ما أرجو من خير ، والله يهدينا جميعاً سواء السبيل .

* * *

(مجلة الأزهر) نلفت النظر إلى ما ورد فى هذه المقالة من الاقتراحات القيمة الخاصة بالأزهر وبالأمم الإسلامية . فقد أزف الوقت الذى يجب فيه أن ينظر إلى أمثال هذه الاقتراحات بعناية فائقة . فإن أمة تتألف من نحو أربعمائة مليون نسمة تقوم على بلاد العالم وأخصبها بقعة ، يجب أن تكون فى مقدمة الأمم علما وصناعة ومدنية ، لاسيما وقد كانت مهداً لها منذ أقدم العصور التاريخية إما الاستنامة إلى التقاليد الاجتماعية البالية فقد أصبحت مما لا سبيل إلى المحافظة عليه ، وأولى بها أن تزول ويحل محلها الإيمان والإسلام بمعناهما الصحيحين ، بدل أن يغتصب مكانها الإلحاد والانحلال ، وقد أبدع حضرة الكاتب فى بيانه فنعجب به ونشكره عليه ، ونبشره بأن أولى الأمر يعملون جاهدين على تحقيق هذه الأماني النبيلة .

محمد فريد وجدى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على تواتر نعمه ، والصلاة والسلام على محمد خاتم رسله ، وعلى آله وصحبه ومتبعى ملته أجمعين ، صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين .

أما بعد فقد أدركتنا السنة الثالثة والعشرون من حياة هذه المجلة القيمة ، وهى دائبة على خدمة الإسلام والمسلمين ، مترسمة الخطة التى وُضعت لها ، والطريقة المثلى التى رسمت لتسلكها ، فوجدت طريقها إلى القلوب ممهداً فسلكته جادة غير متلكئة ولا وانية ، فأنست من الرأى العام مشجعاً قويا ، وبلغت من القلوب مكانا عليا . وقد أسندت إلينا إدارتها منذ نحو عشرين سنة ، فلا نتمدح بما قمنا لها فيها من الخدم ، ولا بما أحدثنا فى تحريرها من التطورات . ولكننا نذكر أن دعوتنا لهذه المهمة كان أمرا يجب التفكير فيه إذ ذاك قبل الاقدام عليه . لما كان عليه أصحاب الكلمة العليا فى الأزهر من الورع المبالغ فيه فى الكتابة للدين ، ولكن ما كاد يظهر العدد الذى تولينا إدارته حتى تواترت على الأستاذ الأكبر التهنئات من كل صوب ، حتى من الذين كانوا لا يأبهون للدين ، ويتخيلون أن الكتابة فى موضوعه لا تروق للقارئين . واليوم نحمد الله ونشكره على ما حدث من الإنقلاب فى هذا المجال . فإن القراء أصبح يشوقهم أن يقرأوا البحوث الدينية بتقدير عظيم ، وهذا الانتقال الشديد إنما جاءهم من معالجة الكتاب الدينيين فى كتاباتهم الشئون الحيوية التى تهم الناس أجمعين ، وقد تمرسوا على الاحسان فيها ، ولذلك تنال من قرائها الاقبال والثناء العظيم .

وهذه مجلة الأزهر تنشر فى جميع الأقطار الإسلامية ، وتحمل إلى تلك البلاد النائية النور والعلم والإيمان ، دائبة على ذلك لايعتريها فتور ، والفضل فى ذلك يرجع لأفراد من علمائه فهموا الإسلام على حقيقته ، وأدركوا الارتقاء البعيد الذى يوجه أهله إليه ، فعملوا وسيعملون على فتح الطريق أمام كتاباته وكل مايمت بصلة إليه .

ولا يجوز لنا أن ننسى فى هذا المقام ما نلقاه من التنشيط والتشجيع من لدن حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، ملك هذه البلاد ، فنتلقاه بالقبول راجين لجلالته دوام التوفيق .

ولا يجوز لنا أن نغفل أيضا ما لقيناه من جميع الشيوخ الذين تولوا الأزهر من التقدير والتشجيع العظيم ، ونأمل أن نجد مثل ذلك من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الحالى الشيخ ابراهيم حروش بل نطمع منه فى المزيد ؟

محمد فريد وجدى

شعراء الأزهر

٧ — الشيخ عبد الرحمن قراعة

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

كنت مدرساً فى مدرسة خليل أغا . إحدى مدارس الدائرة الخاصة الملكية ، حينما كتب الدكتور منصور فهمى فى سلسلة مقالاته : « خطرات نفس .. الأهرام » ينقد : « هيئة كبار العلماء » نقداً مقذعاً ، عرض فيه لذكر الموائد ، والطعام ، وما إلى ذلك ؛ وكتبت تحت عنوان : « على رسلك يا دكتور » رداً نشرته الأهرام ، ومضى بإعجاب الأزهر ، ونمى إلىّ أن حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتى الديار المصرية . كان أشد كبار العلماء إعجاباً ، وأبلغهم إطراء . وكنت مستحقاً فى جراية « أتوزبير » الممتازة ؛ ولعدم حاجتى إلى الخبز ، كنت أبيعها شهرياً لتاجر مشهور يلقانى على رأس كل شهر لينقدنى ثمنها .

واتفق أن « فرز » مستحقو أتوزبير ، فى أوائل اكتوبر ولم أحضر ، فشطب اسمى ، وجرى التاجر على عادته فلم يلقنى إلا أول نوفمبر ، لا لينقدنى ثمن الجراية ، بل ليبشرنى ـ أجزاه الله ـ بشطب اسمى لعدم حضورى فى الفرز ! وأحزننى ـ علم الله ـ هذا الشطب ؛ الذى لم يكن يكلفنى اتقاؤه إلا علمى بالفرز فى حينه ، إذ أن نظام عملى يوجب أن أكون فى مقره من أول يوم من سبتمبر ؛ ولكنى قلت فى نفسى : إن فضيلة المفتى ، الذى إليه أمر « أتوزبير » سوف لا يتردد فى الأمر بإعادة قيدى ، متى علم أن هذا الذى شطب اسمه ، هو بعينه كاتب المقال « إياه » !

وأسرعت إلى دار الإفتاء ، ومثلت فى حضرة الشيخ ، وبعد أن حيته التحية التقليدية المعروفة ؛ قلت : أنا ـ يا مولاى ـ مستحق بأتوزبير ، وقد شطب اسمى لأننى لم أعلم بالفرز ، مع أنى كنت فى القاهرة ... وقطع الشيخ على كلامى بقوله :

وأنت أيه ؟ قلت : أنا ؟ أنا أزهرى يا مولاى ؛ فصوب نظره فىّ وصعّده ، ثم صوبه وصعده ، ثم قال : ودّه شكل أزهرىّ !!! وخلخلتنى الصدمة : صدمة الفشل ، وخيبة الأمل ! ففتحت فمى لحظة ؛ ثم تماسكت ، فقلت : ولكن هذا شىء آخر . فقال : آخر ، ما فيش جراية ، امشى . . !

وتناثر على أثر هذه الجملة كلمات من هنا ومن هناك ، صاح الشيخ على أثرها فى عصبية هادرة : يا فراش ، أخرج ده من هنا . وكان الجواب : هنا دار الإفتاء ، لا دار مولانا . . . ولن أخرج منها حتى يخرج . ووقف الفراش المسكين بالباب ، ينظر الى الشيخ مرة ، وإلى أخرى ؛ وأقبل الشيخ عليش أمين الفتوى ، فقال : كان ينبغى — يا أستاذ — أن تخبر الشيخ ، أنك من علماء الأزهر ، قلت : بل كان ينبغى أن أضع رخصة على كتفى ، لأعرف لأول نظرة . ودق الموقف وتحرج ؛ ولكن الشيخ هب واقفا ، وأمر باستدعاء العربة ، ثم خرج ، وخرجت خلفه ؛ وبعد أن اتخذ طريقه الى الأزهر ، اتخذت طريق راجعا بالخفين ، إياهم . . فأما الجراية ، فكانت الضحية البريئة ، التى اتخذت طريقها الى قرافة المجاورين ! .

لم يكن الشيخ متجنيا ولا معتديا ؛ وإنما رأى شابا شديد الاعتداد بنفسه الى ما يشبه الغرور ؛ يتزيا بزى بعيد الشبه بأزياء المشايخ : ألوان صارخة ؛ وحزام معقود على البطن مرسل الأهداب ، كأنه ، حياصة كاعب حسناء ، وعمامة ، حمصانية ، تفلصت عن شعر عمل فيه الترجيل والتهذيب ، فبدا براقا صقيلا . . الخ الخ . وأكبر الظن أن نجاح الشيخ فى إصلاحى ، كان مضمونا ، لو أنه سلك معى مسلك الناصح الشفيق : لولا أن ، لازمة ، رجال الدين جميعا ، لا الشيخ وحده ، هى حدة العاطفة ، والصراحة فى الحق ، والأخذ بأقوى شعب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وأقسم لو أننى كنت مكانه ، لما فعلت غير ما فعل ؛ ولكن الحياة أطوار !

والشيخ عبد الرحمن قراعة ، شخصية غنية بأنواع الكرامة : كرامة الأسرة ، فبيته من بيوتات الصعيد الكريمة المعروفة ؛ وكرامة الخلق ، فقد كان نزيها ، بعيدا عن مزالق الشبهات ، ومطارح الريب ، شديد التمسك بمظاهر الترفع والتكرم ، الى حد التزمت ؛ وهو بهذا يشذ عن مذاهب الأدباء فى التسامح ، واتساع الأفق ؛

والكرامة العلمية ، فقد كان من أجل العلماء ، وأصفاهم قريحة ، وأقواهم حجة ، وأوفاهم أمانة ؛ والكرامة الأدبية ، فقد كان أديبا مطبوعا ذواقة ، ذا موهبة شعرية قوية ، قاومت بعناد غير قليل طغيان الأسلوب العلمى ، الذى يرجع إليه فى الأزهر الشريف ، ضعف سلطان الشعر ، وتواضعه عن مساماة غيره من ضروب الثقافات التى تعالج فيه ومن هنا ، كان اتصال الأدباء بالشيخ ، وقربهم منه ، ومدحهم له ؛ فقد مدحه الشاعر البدوى الفحل المغفور له الشيخ محمد عبد المطلب ؛ ومدحه الشاعران : الشيخ على الريان ، وصادق عرنوس أفندى ، فى مجموعة أشعارهما المشتركة : « الديوان » المطبوعة سنة ١٩١٢ على ما أذكر ؛ ومدحه الشاعر الراوية المرحوم أحمد الزين .

يقول عبد المطلب من قصيدة :

العالم الورع ، ابن العالم الورع ، الـ ... معروف ، فى النفر البيض الصناديد
القاطع الليل ، والظلماء شاهدة ... ما بين حالين : تسبيح وتحميد
وناصر الدين فى قول وفى عمل ... إذا التوت عنه أرسان المذاويد
وجاعل الحق نهجا لا تحيد به ... عنه الخطوب ، ولا سيما المحايد
ترمى به الفضل نفس كلما طمحت ... نحو العلا ظفرت منها بمقصود

إلى أن قال :

لله ما حاز من علم ومن أدب ... ومن كمال له فى الدين مشهود
تلك السيادة ، لا ما كان رخرفها ... متاع دنيا لعمرى غير موجود
أولى بها عابد الرحمن وهو بها ... أولى ، وما كل من ساد « ابن محمود »
حسب المكارم أن الله أودعها ... فى آله ، فتولاها بتسديد
من كل أروع يزدان الفخار به ... وعيلم فى بحار العلم مورود
إذا السيادة أعيت من يحاولها ... كانوا موالها عند الموالد
قوم كرام ، إلى « قراعة » انتسبوا ... بخير ما تنسب الأشبال للصيد

ويقول الزين ، لما تولى الشيخ إدارة الأزهر ، من قصيدة :

وأرقنى داع لاصلاح معهد ... له من فعال المفسدين نحيب
فقلت له لا تأس ، ملك أمره ... أخو ثقة للمعضلات ركوب
فذاك الذى قرت به عين أمة ... لها عبرات سيلهن يصوب
وألفت عصاها حين قام بنصرها ... جموع لشتى المكرمات كسوب
ولست أرى فيه سوى أنه الذى ... تقر به عين العلا وتطيب
به أدرك المهضوم حقه عادل ... وأصبح داعى الحق ليس يخيب
وأورق غصن العلم بعد ذبوله ... وألبس ثوب المجد وهو قشيب

* * *

وشعر الشيخ - كما قلت - ينساب فى أعطافه نفحة من نفحات فحول الشعراء ، وإن عارضها - أحيانا - طابع أشعار العلماء ؛ وهذا مقام كريم ، إذا عرفنا أن الشيخ ومعاصريه من الشعراء ، كانوا البرزخ الذى انتقل به الشعر إلى البعث فى عهد النهضة الحديثة . بعد أن وقف حتى جمد ، وضعف حتى همد .

تطالعك هذه النفحة . بدرجات متفاوتة ، فى جميع ما تناوله من أغراض الشعر وقد تناول الأغراض القديمة كلها ؛ فمن غزله :

أهلا بطيف خيال زارنى سحرا ... لولاه لم تكتحل عينى بطيب كرى
طوى المراحل نحوى ، والمنازل فى ... جنح الليالى يخوض الهول والخطرا
فلا - وربك - لولا ليل طرته ... أخفاه عن أعين الواشين ما استترا
حيا ، فأحيا فؤاداً قد قضى أسفا ... لولا التحيـــة أحييته لما نشرا
زموا الرجال . وضموا فى هوادجهم ... بدرا ، إذا غربت شمس الضحى سفرا !
ياسائق العيش ، إن جزت العقيق فقف ... به رويدا عسى نقضى به وطرا
وانشق عبير ثراه ، واسق روضته ... بدمع عينك ، واستنجد لها المطرا
وصن فؤادك لا تغلبك خرده ... عليه ، إن فوقت عن قوسها وترا

ويقول فى « الاخوانيات » يمدح ويشكر :

شقيق الروح أهدانى[1] سـلامه ... فألبسنى به حلل السـلامه
فلم أر قبـله أبدا سـلاما ... إذا وافى العليل شفى سـقامه
سكرت بطيب رياه ، فلولا ... تقاه ، لقلت أهـدانى المدامه
فيالك ناظما عقـداً ثمينا ... يد الأفكار قـد نسقت نظامه
لقـد أحرزت غاية كل سبق ... فما عبد الحميد ، وما قدامه ؟

* * *

وفى تهنئة الأستاذ الإمام محمد عبده ، بمنصب الافتاء :

بهديك فى الفتوى إلى الحق نهتدى ... ومن فيض هذا الفضل نجدى ونجتدى
لكل زمان من بنيه مجدد ... لما أبلت الأهواء من دين أحمد
وقد علم الأقوام أن محمداً ... مجدد هذا الدين فى اليوم والغد
يميناً به ، بالفضل خصص ، عبده ... محمداً ، الداعى لهدى محمد
وقلده عقد الفتاوى فأصبحت ... تتيه به الفتيا بخير مقلد
لتخترقن الحجب بالرشد لا الهوى ... وتبنى منار الحق بالفكر واليد
فتوضح من إشكاله كل غامض ... وتفتح من أبوابه كل موصد

* * *

وله فى رثاء بعض أصدقائه من قصيدة :

أيها النفس ، كيف علمك بالصـبر ... فقد فلت الحوادث حدى
إن رزء « الحسين » قوض أطنا ... ب سرورى ، وهد أركان مجدى
أغمدت بعده سيوف عهدنا ... أنها لا تقر يوما بغمد
وخبت بعده مصابيح كانت ... هى شمس الهدى لهاد ومهدى
وخلت بعده المنازل من إجـ ... ـزال رفد ، أو من تحية وفد

---

(١) عدى الشيخ « أهدى » بنفسها ؛ والمعروف تعديتها بإلى .

وله فى العتاب ، وهو بالغ الجودة :

صلونى ، وان شئتم فاهجروا وأوفوا بعهدى ، أو فاغدروا
خضعت لأحكامكم صاغراً ومن ذا يحب ولا يصغر !!!
وحاولت كتمان وجدى بكم فنمت دموعى بما أضمر
فياحيرة الحى رحماكمو لمن دمعه سائل ينهر
أجن لرؤيتكم كلما دنا جؤذر ، وأضا نير
وأشكو اليكم جوى فى الحشا إذا أنا أخفيته يظهر
بكم عذت من جوركم فاعدلوا ولذت بكم منكمو فانصروا !
فما أحسن العفو عمن أسا ولا سيما عفو من يقدر

وله هجاء ، أكثره من الأدب المكشوف ، على طريقة شعراء البتيمة ، أو كما يقول جرير فى هجاء الراعى النميرى :

أجندل ، ما تقول بنو نمير إذا ما ... فى ... أبيك غابا

وفى هجاء الفرزدق :

إذا سعلت فتاة بنى تميم تلقم باب عُضْرتها الترابا
ترى برصا بأسفل إسكتيها كعنفقة الفرزدق حين شابا

فله عفا الله عنه :

لله درك من رفيع كاتب بدواته تتعاقب الأقلام
عرضتها للكاتبين ، فكلما عجزت أغيلمة ، أتاك غلام
هذى مفاخرك التى أحرزتها وأفادك الخالات والأعمام
وبها نخارك ، فافتخر ما شئت ، لا عرض ، ولا عقل ، ولا إسلام

* * *

وله :

إن كنت يا ... تزعم أنها صدقت . فإنك آثم أفاك
لو كنت من أهل الفسوق عرفتنى أيام كنت بدرهمين ... !

وله :

ما زلت تذعف عارضيك لكل من أبصرته ، وترجرج الأفلاكا
وتقول : هل من . . . لم يدخل الد دنيا ، فلم تر فى الورى . . .

وفى الحق أنها ملكة من تراث قدامى الشعراء . طاغية متذعة !

وله فى غير ذلك إحسان كثير ، تقرؤه فى مجموعة : « الشيخ عبد الرحمن قراعة كأديب » بقلم محمود على قراعة . المطبوعة سنة ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م . أهداها إلى الأستاذ الصديق على محمد حسن المدرس فى معهد القاهرة .

وأختم مختارى من أشعار الشيخ رحمه الله تعالى ، بقوله يصف النياق ويمدح الرسول الأعظم ، صلوات الله وسلامه عليه :

إذا نظمت أخفافها عقد منزل نثرن حصا البيداء نثر الدراهم
متى أرم أكباد البطاح بها أصب مقاتلها ، موطوءة بالمناسم
تحن إلى طى القفار حنينها لأم القرى من بين كل العواصم
وتأبى ، ولو أن السماكين سخرا لها منزلا ، إلا بشعب ابن هاشم
هنالك ، حيث الكون أشرق وازدهى بخير الورى والبيت سامى الدعائم

إلى أن قال :

إلى حيث أنوار النبوة أشرقت على الناس طرا : عربهم والأعاجم
إلى الآية الكبرى على كل جاحد إلى الحجة العظمى على كل ظالم
إلى الغرض الأقصى الذى ليس ا مرام لرام ، أو مرام لرائم
إلى أحمد الهادى البشير محمـ إلى الطاهر الماحى ظلام المظالم
إلى الحامد المحمود أكرم فاتح وأفضل مبعوث وأشرف خاتم

* * *

صلى الله عليه وسلم ، وأسبل على جدث الشيخ العظيم هوامى رحمته ورضوانه ، كفاء إخلاصه وإحسانه . آمين .

دراسات فى القرآن

موسى الكليم — فى سورة المائدة (١)

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى

المفتش بالأزهر

قلت إن الله سبحانه قد ذكر موسى الكليم فى خمسة وعشرين موضعاً من الكتاب الكريم وتعرضت لما ورد فى السورة التى ذكرت فيها البقرة من نعمة الانجاد من آل فرعون وفرق البحر ، واتجاه قوم موسى ، وإغراق عدوهم ، ومواعدة موسى أربعين ليلة ، وعفو الله عنهم بعد اتخاذهم العجل ، وطلبهم رؤية الله ، ثم عتابهم والعفو عنهم ، وإحسان الله إليهم بتظليل الغمام فى الصحراء ، وإنزال المن والسلوى من السماء وعدم تحقيقهم دخول القرية ، وطلبهم السقيا من موسى ، ثم إخراج الماء لهم من الحجر ، وما تبع ذلك من مظاهر الضجر . واعتدائهم فى السبت ، ثم قصة البقرة ، واختلافهم فى أمرها — وكان الموضع الثانى من المواضع الخمسة والعشرين سورة المائدة .

وفيها خبر يصور قسوة قلوب القوم . وإختلافهم أيضا ، وعقاب الله لهم . وهذا الموضع يقع من الناحية التاريخية بعد نجاتهم من آل فرعون وخروجهم من مصر كما سترى وهو مما لم يذكر فى غير هذه السورة الكريمة فيما نعلم .

والواقع أن سورة المائدة (وهى الرابعة من سور القرآن الكريم) تذكر أحوالا أخرى من تواريخ بنى إسرائيل قبل زمن محمد صلى الله عليه وسلم وفى زمنه بل الواقع أن كثرة من سور القرآن الكريم لاتخلو من شرح لأحوال هؤلاء الناس تحديا لهم وعظة بتواريخهم ، وصورهم النفسية العجيبة . وهداية لمن أراد الله هدايته

---

(١) الواقع أن فى سورة النساء ذكر الشىء من أحوال كليم الله وقومه فى الآيات (١٥٢ - ١٦٢) ولكنها مستطردة - فيها مر سريع ببعض الحوادث ولذلك لم أقصد إليها فى المواضع الخمسة والعشرين ، وللقارىء الكريم أن يرجع إليها فى الكتاب الكريم .

منهم وكذلك هذا الكتاب الكريم . هدى للمتقين ، وتسجيل وحجة على المعتدين المعاندين وإنما أحاول دراسة الأحوال التى تتصل بكليم الله وتلابسه ملابسة قريبة وفى سورة المائدة من ذلك الآيات من (٢٠ — ٢٦) .

وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله — إلى قوله فلا تأس على القوم الفاسقين وفى هذه الآيات أن موسى صلوات الله عليه قال لقومه بنى إسرائيل أذكروا نعمة الله عليكم فى ثلاثة مواضع فاشكروها وأدوا حقها . واسمعوا وأطيعوا لرسوله فيما يدعوكم إليه إسعاداً لكم وإصلاحاً لشئونكم . وإن شق الأمر على نفوسكم وتوهمت فيه إضرار بكم ، وهذه النعم الثلاثة هى :

١ — أنه جعل فيهم أنبياء كثيرين والله سبحانه قد جعل فى ذرية إبراهيم النبوة والكتاب . وردد هذا المعنى فى كثير من آيات الكتاب . وذلك يقتضى الاستقامة على الطريقة فإن النسب الكريم يزينه العمل الكريم . حفظاً لكرامته ورعاية لحرمته . وإلا ذهب جمال الشرف . وضاعت ميزته ولهذا يقول النبى (آل النبى كل تقى) .

٢ — أنه سبحانه جعلهم ملوكا . فقد حررهم من رق العبودية . وأخرجهم إلى فضاء الحرية وذلك الملك الحق . والصفاء الذى لا يقاس به عز . قال زياد : خير الناس ، رجل لا يعرفنا ولا نعرفه فى غنيمات له . فالملك من لا سلطان عليه لأحد . وذلك سائد فى لغة العرب وقد دلت عليه الآية الكريمة فإن الله سبحانه يقول جعلكم ملوكا . ولم يقل جعل فيكم ملوكا والعبارة لا تصدق إلا بهذا التفسير .

٣ — أنه سبحانه آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، وهذا يشبه أن يكون من عطف العام عن الخاص لإفادة الشمول وعدم الخصوص .

ومعنى ذلك أنه سبحانه آتاهم النبوة وآتاهم الملك وأعطاهم فرق البحر وإغراق فرعون ، والتوراة فيها هدى ورحمة ، وظلل عليهم الغمام ، وأنزل المن والسلوى ، وغير ذلك ، وكل هذا لم يعطه الله أحداً من العالمين .

وإذا كان ذلك فمن حقه أن يشكروه ، ويقدروه ويتلقوا ما يأمر به بقبول حسن ، وكان نبى الله وكليمه علم من قسوة قلوبهم ما يدعو إلى تخفيفها وترقيقها

ولكن ... ولكن أنى هـــذا وهى كما يقول الله سبحانه كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وكان من حكمة الله سبحانه أن يطلب منهم ذلك الأمر فيخالفوا فيعزلهم فى ذلك التيه الذى يبلغ عشرة فراسخ فى مثلها يخبطون فيه ليلهم ونهارهم ، ويعودون من حيث ابتدءوا بقدرة الله حتى ينقرض هذا الجيل الفاسد ، ولا يكون عدوى لذلك العنصر الذى أفسده الاستعباد والاحتلال الفرعونى نسأل الله السلامة .

قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة وهى أرض الشام والحق أنها غير القرية التى ذكرت فى سورتى البقرة والأعراف — (وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية ، وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) فإن السياق فى القرآن يشعر بأن دخول القرية كان وهم فى التيه ، وأما هذه الأرض المقدسة فطلب منهم دخولها قبل التيه ، وكان التيه عقوبة لهم على تركها ، والقصة تتلخص فى أن موسى قال لبنى إسرائيل بعد أن عبر بهم البحر ، ومهد بالتذكير بنعم الله عز وجل ، أدخلوا الأرض المطهرة المباركة التى وعد الله إبراهيم أن يجعلها لذريته كما ورد فى سفر التكوين أن الله سبحانه قال لابراهيم ـ لنسلك اعطى هذه الأرض ـ وحذرهم أن يجبنوا عن القتال ، وإلا رجعوا خاسرين لم يظفروا بهذه الأرض ، فيحقق الله سبحانه الوعد لغيرهم من ذرية إبراهيم ، من المطيعين لأوامره ، ولكن ضعف الاستعباد وسوء تربية الاحتلال علمهم الجبن والخور فهم الذين يحسبون كل صيحة عليهم ، قالوا إن نبى الله أراد ان يقرهم فى أرض يستقرون فيها بعد خروجهم من مصر فلما قرب من حدود الشام قال لهم إن الله سبحانه وعدكم هذه الأرض فادخلوها واستعدوا لقتال من يقاتلكم من أهلها ، فأرسلوا اثنى عشر جاسوسا منهم يدرسون أحوال أهلها ، فلما رجعوا قال عشرة منهم لموسى وهو فى ملأ من بنى إسرائيل . إنها أرض تدر لبنا وعسلا ، غير أن القوم أقوياء والمدن حصينة ، وقد رأينا أهلها وهم طوال الهامات فصرنا فى عيونهم كالجراد ، وكذلك كنا فى عيوننا . ذلك بمعناه فى السفر الرابع من التوراة وهو قدر معقول لا ينافى نص القرآن الكريم بل يسايره ، قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين ، والجبار فى اللغة عظيم الجثة الطويل من قولهم نخلة جبارة ، وناقة جبارة ، وقد ذكرت أوصاف أخرى فى الاسرائيليات

الكاذبة . نقلها بعض المفسرين ، ولا معول عليها ، ولا تتفق مع المنطق ولا التاريخ الطبيعى .

وما كاد بنو إسرائيل يسمعون من الجواسيس وصفهم . وما بهم من بطش وقوة حتى طاروا شعاعاً ، وتولاهم الرعب والفزع . وأكل قلوبهم الهلع . وبكوا وتمنوا لو أنهم ماتوا بمصر . ثم صاحوا بموسى متظاهرين . إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها داخلون » . كره القوم الجهاد فى سبيل الله . لأنهم ألفوا ألا يدفعوا عن أنفسهم شراً . واطمأنوا إلى الخوارق التى عودهم موسى وما كانت من الأوضاع الطبيعية ولا السنن الكونية . وإنما الحياة عقيدة وجهاد ، وكفاح وجلاد .

فهذه الإسعافات المؤقتة التى يثبت الله بها قلوب عباده لا تستقيم عليها حياة . وإلا كان الإنسان جماداً ، ولا حراك به ، ولا تصرف له .

ولما كان كل وسط لا يخلو من ذوى مزايا ممتازة ، فقد كان فى بنى إسرائيل من ينكر عليهم تمردهم ولا يقرهم على تمردهم ، فانبرى رجلان من الذين يخافون الله . ولا يرهبون بطش سواه . قد أنعم الله عليهما بالانقياد والطاعة . وقد ذكرت التوراة أنهما يوشع بن نون وكالب بن يفنة وأجمع المفسرون من المسلمين على ذلك . وقالا لقومهما ادخلوا عليهم باب تلك المدينة ووعداهم ثقة بالله وتوكلا عليه بالنصر والغلبة ، وطلبا منهم أن يتوكلوا على الله كما توكلا . إن كانوا قد آمنوا كما يقولون . فإن المؤمن الصادق من يتوكل على الله ، ولا سيما فى جهاد عدوه . والدفاع عن حقه « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » .

ولكن القوم لضعف نفوسهم وخور عزائمهم . أصروا على جبنهم . ولم يتوكلوا على ربهم « وقالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » . يتهكمون بكليم الله قائلين فى محاجته . إن كان ربك هو الذى أمر بإخراجنا من مصر لسكنى هذه الأرض وكتبها لنا ، فاذهب أنت ومن أمرك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . ننتظر ما يتم بينكم ، عند ذلك أخذ موسى يشكو

إلى ربه ، هذا الذى نزل به . من تمرد قومه ويتنصل من فسقهم وتمردهم « رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » .

ولقد احتاط صلوات الله عليه غاية الحيطة فلم يكفل إلا هرون معه . لأنه مطواعاً لا يخالفه ولأن الله أباه سؤله فيه يوم قال « اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى » . فليس من الجائز أن يخرج عن توجيهه . وأما الرجلان فجائز أن ينكلا ، وقد ينكل القوم لأن الكثرة غير القلة ، وأنت فى الجماعة غيرك إذا انخذلت عنك . وقد عجل الله سبحانه للقوم جزاء من جنس ما عملوا فحرم عليهم الأرض المقدسة أربعين سنة يتيهون فى أرض مقدارها عشرة فراسخ فى مثلها لا يمكنون من الخروج منها حتى ينقرضوا ويأتى الله بقوم آخرين فيهم صلاحية للبقاء والخلافة على الأرض الطيبة لم يفسد الاستعباد فطرهم . ولم يفت الاحتلال فى أعضادهم « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادى الصالحون » . اللهم خلصنا من أوحال الاحتلال . وارفع عنا نير الاستعباد حتى نحسن عبادتك .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

« التورع عن ولاية المناصب »

كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى . إلى عدى بن أرطاة أن اجمع بين إياس من معاوية . والقاسم بن ربيعة الجرشى . فول القضاء أنفذهما . فجمع عدى بينهما . فقال له إياس : أيها الرجل سل عنى وعن القاسم . فقيهى البصره : الحسن وابن سيرين . وكان القاسم يتردد عليهما وإياس لا يأتيهما . يريد بذلك أن يشهدا بكفايته فيسند عدى القضاء إليه . ويخلص هو منه . فأدرك القاسم هذه الحيلة فقال لعدى لا تسأل عنى ولا عنه . فوالله الذى لا إله إلا هو إن إياس ابن معاويه أفقه منى وأعلم بالقضاء . فإن كنت كاذبا فما ينبغى أن تولينى . وإن كنت صادقا فينبغى لك أن تقبل قولى : فقال إياس لعدى إنك جئت برجل فأوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال عدى : إما أن فهمتها فأنت لها . فاستقضاه .؟

أبو اسحاق الشيرازى

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المراغى
مدير المساجد بوزارة الأوقاف

امتاز القرن الخامس الهجرى بطابع النشاط العلمى فى التأليف ، نتيجة لتنازع القوى السياسية والمراكز الإسلامية المتعددة المتنازعة فى الخلافة ، فأنت ترى فى مصر الدولة الفاطمية التى أسست الجامع الأزهر سنة ٣٦١ هـ وجعلته معهدا علميا لدراسة المذهب الشيعى وتكوين الدعاة لتدعيم مذهبهم وتثبيت خلافتهم ، وذلك مما دعا الخلفاء العباسيين ببغداد الى أن يزداد نشاطهم صدا لهذا التيار الجارف . وكما نرى تلك المنافسة بين مصر وبغداد حامية الوطيس نراها أيضا فى الأندلس حين اشتد ساعد دولة المرابطين ، إذ نرى يوسف بن تاشفين يرسل قائده داود بن عائشة لمحاربة كاثوليك الأسبان قرب بطليوس ، ونراه يخرج من هذه الحرب ظافرا منتصرا حاميا لبيضة الإسلام ، ذائدا عن حياضه ، ملقبا نفسه باسم أمير المؤمنين .

ومن الطبيعى أن يكون لهذه المنافسة السياسية أثرها فى الجوانب العلمية المختلفة لذلك نرى أن هذا القرن أنجب ، نتيجة لذلك التفاعل ، علماء محققين فى كل عاصمة من تلك العواصم الإسلامية . فأنت ترى أبا إسحاق الاسفرائينى الشافعى ، وأبا عمر الطلمنكى المالكى ، وأبا زيد الدبوسى الحنفى ، وابن حزم الذى كان شافعى المذهب ثم انتقل الى مذهب الظاهرية ، وأبا الوليد الباجى المالكى ، وإمام الحرمين الجوينى الشافعى ، ومترجمنا أبا إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الشافعى وغير هؤلاء من جلة العلماء وأفاضل المحققين الذين ذخرت بمؤلفاتهم المكتبة الإسلامية وتناقل العلماء أفكارهم وآراءهم منذ ذلك القرن الى اليوم .

هذه صورة مصغرة تضىء لنا نواحى البيئة العلمية التى نشأ فيها الشيرازى ، ونعود بعد ذلك الى أطوار حياته فنذكرها طورا إثر طور على حسب ترتيبها الزمنى وبمقدار ماتسعفنا به المراجع التى بين أيدينا ، علنا نصل الى إبراز هذه الشخصية التى أدت واجبها نحو عقيدتها ، ونحو مجتمعها الذى عاشت فيه واستظلت بظله .

يذكر لنا محب الدين بن النجار فى تاريخ بغداد ، أن الشيرازى ولد بفيروز أباد (بلدة بفارس) ونشأ بها ، ولم تبين لنا كتب التاريخ التى بين أيدينا كيفية نشأته الأولى ، وهى على مانظن كانت على وفق نشأة أقرانه وأهل عصره ، فهى حفظ للقرآن وتعلم للقراءة والكتابة ، ويذكر لنا هـذا المصدر نفسه أن أبا إسحاق دخل شيراز وقرأ بها الفقه على أبى عبد الله البيضاوى وعلى أبى أحمد عبد الوهاب بن رامين ثم دخل البصرة وقرأ على الجوزى .

تلك هى البلاد التى تنقل بها الشيرازى فى شبابه طالباً للعلم من أهله ، ثم دخل بعد ذلك بغداد فى شوال سنة ٤١٥ هـ . وفى بغداد أصبح الشيرازى متأثراً بشيوخه متلقياً عنهم ، مستوعباً لأنواع العلم فيها ، مؤثراً فى تلاميذه وأبنائه . وأشد العلماء تأثيراً فى الشيرازى شيخه أبو الطيب الطبرى الذى كان يصحبه طويلا ، ويأخذ عنه كثيراً ، وينيبه عنه فى درسه ، بل قد رتبه معيداً فى حلقته بصورة لعلها لا تعدو ما عليه نظام المعيدين بالجامعات فى العهد الحديث . وإذا أردنا تحقيق سن الشيرازى وقت دخوله بغـداد ، وجدناها أقل من عشرين بقليل ، أو أزيد منها بقليل ، على اختلاف الروايات فى مولده ، ونجتاز تلك المرحلة إلى مرحلة التأليف والتدريس اللذين كان محطهما بغداد ، فقد ألف فى الفقه الشافعى « التنبيه » وهو أحد الكتب المشهورة فى المذهب ، فرغ من تصنيفه سنة ٤٥٣ هـ ولبعضهم فى مدحه :

يا كوكباً ملأ البصائر نوره ... من ذا الذى لك فى الأنام شبيهاً
كانت خواطرنا نياما برهـة ... فرزقنا من تنبيهه تنبيهاً

وقد ترجم هـذا الكتاب إلى اللاتينية ، ومع هذه الترجمة مقدمات للأستاذ حوينبول . وله « المهذب » فى المذهب ، فرغ من تأليفه سنة ٤٦٩ هـ وصفه صاحب كشف الظنون بقوله كتاب جليل القدر ، اعتنى بشأنه فقهاء الشافعية . وقيل إن سبب تصنيف المهذب أنه بلغ الشيرازى أن ابن الصباغ قال : إذا اصطلح الشافعى وأبو حنيفة ذهب علم أبى إسحق الشيرازى ، يعنى بذلك أن علمه هو مسائل الخلاف بينهما فإذا اتفقا ارتفع ، فكان ذلك حافزاً للشيرازى على تصنيف هذا المؤلف . وللشيرازى رسالة فى علم الأخلاق وفى الطب الروحانى المتعلق بالوعظ والإرشاد . وله فى علم أصول الفقه كتاب « اللمع » الذى أشار فى مقدمته إلى سبب تأليفه وإلى ذكر

مؤلفه فى علم الخلاف إذ يقول : الحمد لله كما هو أهله ، وصلواته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين . سألنى بعض إخوانى أن أصنف له مختصراً فى المذهب (يعنى به مذهب الشافعى) فى أصول الفقه ليكون ذلك مضافاً إلى ما عملت من التبصرة فى الخلاف فأجبته إلى ذلك إيجاباً لمسألته ، وقضاء لحقه ، وأشرت فيه إلى ذكر الخلاف وما لابد منه من الدليل ، ربما وقع ذلك إلى من ليس عنده ما علمت من الخلاف وإلى الله تعالى أرغب أن يوفقنى للصواب ويجزل لى الأجر والثواب إنه كريم وهاب .

والناظر فى هذا الكتاب يرى أن علم الأصول قد لان لمؤلفه حتى استطاع أن يبسط قواعده بعبارة سهلة ميسرة للأفهام يسهل الحصول منها على القواعد الأصولية التى اعتمد عليها المذهب الشافعى كما يسهل أخذ القواعد الأصولية العامة وقد وصف بعض الشعراء هذا الكتاب بقوله .

ان شئت شرع رسول الله مجتهدا ... تغنى وتعلم حقا كلما شرعا
فاقصد هديت أبا إسحاق مغتنما ... وادرس تصانيفه ثم احفظ اللمعا

وكانت له قدم راسخة فى علم التاريخ ، يدل عليه مؤلفه طبقات الفقهاء ، ولا نرى تعريفا بهذا الكتاب أوضح من مقدمته التى أحاطت بموضوعه وما اشتمل عليه إذ يقول : « هذا كتاب مختصر فى ذكر الفقهاء وأنسابهم ومبلغ أعمارهم ووقت وفاتهم ، ما دل على علمهم من أنباء الفضلاء رحمة الله عليهم ، وذكر من أخذ عنهم العلم من أتباعهم وأنسابهم وأصحابهم ، لايسع الفقيه جهله لحاجته اليه فى معرفة من يعتبر قوله فى انعقاد الاجماع ، ويعتد به فى الخلاف ، فأول مابدأت بفقهاء الصحابة رضى الله عنهم ثم بمن بعدهم من التابعين وتابع التابعين ثم بفقهاء الأنصار وإلى الله تعالى أرغب أن يوفقنى إلى الصواب ويجزل لى فى الأجر والثواب إنه كريم وهاب » . قد طبع هذا المؤلف النفيس نعمان الأعظمى صاحب المكتبة العربية ببغداد سنة ١٣٥٦ ومعه طبقات الشافعية لأبى بكر بن هداية الله الحسيبى الملقب بالمصنف المتوفى سنة ١٠١٤ ، وأما اشتغاله بالتدريس ومكانته فيه وقدرته على مزاولته فيكفينا أن ندل عليه بأن نظام الملك لما بنى مدرسته ببغداد سأل الشيرازى أن يتولاها فلم يقبل ، فولاها لأبى نصر بن الصباغ صاحب الشامل مدة يسيرة ، ثم قبل الشيرازى التدريس بها فتولاها . ولم يزل بها إلى أن مات

فولى مؤيد الملك بن نظام الملك أبا سعد المتولى مكانه فى التدريس، فلما بلغ الخبر نظام الملك أنكر ذلك وقال: كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة بعد وفاته حزنا عليه.

ويكفى فى الدلالة على كثرة تلاميذه الذين تلقوا عنه العلم أنه قال: لما ذهبت الى خراسان لم أجد قاضيا ولا مفتيا ولا خطيبا إلا وهو من تلامذتى أو أصحابى وقد ضرب بزهده المثل وضم إلى ذلك الزهد شدة الورع ومع ذلك قد كان أديبا أثر عنه بعض الإشعار منها قوله:

سألت الناس عن خل وفى ... فقالوا: ما إلى هذا سبيل
تمسك أن ظفرت بذيل حر ... فإن الحر فى الدنيا قليل

ولما توفى الشيرازى رثاه أبو القاسم بن نافياء بقوله:

أجرى المدامع بالدم المهراق ... خطب أقام قيامة الآماق
مال الليالى لا تؤلف شملها ... بعد ابن بجدتها أبى إسحاق
أن قيل مات فلم يمت من ذكره ... حىّ على مر الليالى باق

رحم الله الشيرازى رحمة واسعة، كفاه ما قدمت يداه من جهد وما لاق من نصب لنصرة الشريعة الاسلامية والقيام على تدعيم مذهب الشافعى، وجعل فيه للعلماء قدوة، وللزهاد أسوة. ولد سنة (٣٦٣) وتوفى سنة (٤٧٦) هـ.

هذا هو العدل

التقى عمر بن الخطاب بأبى مريم الحنفى، قاتل زيد بن الخطاب، فقال له عمر: والله لولا الإسلام ما تركتك، والله إنى لا أحبك! فقال له أبو مريم: أو تمنعنى لذلك حقاً يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: لا، وكررها ثلاثا. فقال أبو مريم: لست أبالى بعد ذلك، ما يفرح بالحب غير النساء!!

البابية والبهائية

لحضرة الأستاذ عمر طلعت زهران

أستاذ فى الآداب

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ،
ثم يقولون : هذا من عند الله »
« قرآن كريم » ٢ - ٧٩

عرف العالم مدعي النبوة منذ أقدم عصوره ، وكانوا جميعاً يتخذون أحد الأديان السائدة تكأة يبنون عليها ادعاءاتهم ، وقد يحدث أن يبهر أحدهما الأبصار حينا ، ولكنه لا يلبث حتى ينطفىء نوره ، وأن يخبو ذكره ، وتاريخ الإسلام حافل بذكر مدعي النبوة ، ولكن أخطرهم شأنا ، هو من سنتحدث عنه فى هذه المقالات ، التى سنذكر فى ختامها ثبتا بالمراجع ، لمن شاء أن يعرف المزيد عن هذه الفرقة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

بعث الله - جل وعلا - محمداً صلى الله عليه وسلم - نبياً ورسولا ، فأضاء بنور دينه العالم ، واجتث الجهالة ، وكان نبراسا ، قام المسلمون بهديه ، فحطموا الأمبراطوريات ودكوا العروش . وأعلنوا حقوق الإنسان ، وأقاموا أسس الحرية الفردية . ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفه الخلفاء الراشدون ، حتى كان مقتل عثمان ، وما نعرفه من أمر على بن أبي طالب ، فانقسم المسلمون فئتين : أهل السنة والشيعة . رأى أهل السنة صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، أما الشيعة فلم يعترفوا بالخلافة إلا لعلى - كرم الله وجهه - ومن بعده الحسن ثم الحسين .

ولم يقتصر الخلاف على ذلك ، بل نرى أن كلا الفريقين اختلف ، والذى يهمنا هنا هو اختلاف الشيعة ، وهى اختلافات رئيسية تدور حول الإمامة ؛ إذ أنه بعد استشهاد الحسين فى كربلاء ، بدأ الخلاف يدب بينهم ، فنشأت عدة فرق :

١ — الفرقة الكيسانية : فقد بايع فريق على بن الحسين إماما رابعاً ، وبايع فريق آخر محمد بن الحنفية ، وهؤلاء عرفوا بالفرقة الكيسانية ، وبعد أن مات محمد هذا ، قالوا عنه إنه هو الإمام الحى الغائب ، وأنه هو المهدى المنتظر ، وهو غائب فى جبل رضوى يتمتات بالماء والعسل الذى يأتيه من عند الله . وفى هذا يقول السيد اسماعيل الحميرى أحد علماء هذه الطائفة : ـ

على والثلاثة من بذيه ... فهم أسباطنا والأولياء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط قد حوته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الجيش يتدمه اللواء
يغيب ـ فلا يرى ـ عنا زمانا ... برضوى ، عنده عسل وماء

٢ — والفرقة الأخرى بايعت على بن الحسين إماما ، ومن بعده ابنه محمد ابن على الباقر ، واعتقد كثيرون أنه المهدى المنتظر ، ولكنه نفى ذلك عن نفسه . وبويع بعد الباقر ابنه جعفر الصادق .

٣ — الاسماعيلية : وأوصى جعفر بالإمامة لابنه اسماعيل ، غير أنه مات قبل أبيه جعفر ، ومع ذلك اعتبره البعض إماما ، وكان عندهم هو المهدى المنتظر ، وهو عند أتباعه سابع الأئمة وخاتمهم ، استنادا إلى الحديث الشريف : « أوصيائى سبعة » وزعموا أن أيام الأسبوع السبعة ، والسيارات السبع والسماوات السبع ، والأرضين السبع الواردة فى الفرقان ، والسبع المثانى ، كل ذلك رمز إلى الأئمة السبعة (١) .

٤ — ووجد فريق تبع موسى بن جعفر ، واختلفوا بعد وفاته فريقين : فريق رأى أن موسى بن جعفر لم يمت ، ولكنه غائب سيظهر آخر الزمان ، وعرف هؤلاء باسم « الواقفية » .

٥ — وفريق ارتضى إمامة الرضى على بن موسى . وبعد موته انقسم الشيعة إلى قسمين : قسم رأى انسداد باب الإمامة ، وقد تشعب إلى شعب كثيرة ، كان أهمها الدراويش ، وكان لهم شأن عظيم فى القرون الوسطى ، وكانوا يقولون

---

(١) وعلى هذا يكون الأئمة السبعة هم : على ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم اسماعيل .

بأن العالم لا يخلو فى أى زمن عن إمام أو حجة بين الناس ، فخالفوا بهذا رأى الشيعة الذين يجيزون الغيبوبة والخلو .

٦ — والفريق الثانى قبل إمامة محمد الجواد بن على . ثم على بن محمد ثم الحسن بن على العسكرى ، واعتقدوا بمدوية محمد بن الحسن العسكرى الغائب الحى ، وهؤلاء هم الشيعة الاثنى عشرية (١) .

أما محمد بن الحسن فهو ابن صغير للحسن العسكرى . أخفاه خوفا من المتوكل العباسى. فكان اختفاؤه هذا هو الغيبة الصغرى ، ولذلك قام أربعة رجال، الواحد بعد الآخر ، وادعوا النيابة عن الإمام الغائب ، وعرفوا باسم النواب الأربعة ، ومات رابع النواب سنة ٣٢٩ هـ ، وقفل بموته باب النيابة ، وأشيع أن غيبة الإمام الكبرى تبتدىء من هذا التاريخ .

تلك كانت معتقدات الشيعة ، أما أهل السنة فقد شغلتهم السياسة ، وكادوا أن ينسوا قضية المهدى ، والاعتقاد السائد أنه فى آخر دورات الإسلام ، وهو العصر الذى يضعف التمسك فيه بأساس الديانة الإسلامية ، وترفع الأحكام ويبطل عملها ، فى هذا الميقات يبعث الله شخصا من السلالة الطاهرة يلقب بالمهدى ، ومن بعده يظهر المسيح ، وهناك جماعة تعتقد بنزول المسيح دون المهدى .

وقد رسخت غيبوبة الإمام محمد بن الحسن العسكرى فى عقول أهل إيران رسوخا عجيبا حتى كانوا يكفرون من ينكرها ، وزادوا فى قصته ، فقالوا بمدينة مجهول مكانها اسمها « جابلقا » وبها أبناء الإمام الثلاثة : هاشم ، وقاسم ، وطاهر ، مشغولين بزعامة المسلمين وقيادتهم .

وقد تشعبت هذه المعتقدات ، فرأت السلطات حسما للأمر أن تكلف العلماء

---

(١) وهم كما سبق بيانهم فى الأئمة السبعة حتى جعفر الصادق ومن بعده ابنه موسى ، فابنه الرضى على ، ثم محمد الجواد بن على ، ثم على بن محمد ، ثم الحسن العسكرى ، ثم محمد بن الحسن أو القائم .

بوضع هذه العقائد على أسس ثابتة ، فتمام العلامة المجلسى بذلك ، ودون اعتقادات الشيعة على اختلافها وتباينها [١] .

* * *

كانت إيران ، منذ نحو قرنين من الزمان ، تعانى من حالة اجتماعية وسياسية شاذة ، فلم يكن الأمن مستتبا ، وإنما كانت الحياة كبحيرة تجمدت مياهها ، وانقسم المجتمع إلى طبقات اجتماعية ، وإلى أحزاب سياسية ، وتفرقت الأجناس والأديان ، وعدم الوحدة والتجانس ، وسادت فارس حياة اجتماعية مظلمة ، وتحول الدين الإسلامى بها إلى مجموعة من الخرافات ، وسيطر على العقول بعض رجال الدين الجهلاء . ورأى الناس أن الظلم يكتنفهم ، والجور يحيط بهم ، وكانوا يعلمون بأمر المهدى المنتظر ، الذى يأتى فيملأ الدنيا عدلا وقسطا ، بعد أن ملئت جورا وظلما . وكان الجور والظلم موجودين ، على أشد ما يكون الجور أو يكون الظلم ، فلم يكن غريبا أن تسرى بينهم الأخبار والشائعات بأن المهدى لابد آت فى عصرهم لينقذهم من هذه الحال التى يقاسونها .

كان يعيش فى القرن الثالث عشر الهجرى شيخ من علماء الشيعة ، ولد عام ١١٥٧ هـ — ١٧٤٣ م ، من أصل عربى ، تلقى علومه فى العراق ، ثم اشتغل بالتعليم فاشتهر والتف حوله المريدون . وإن كان الرأى قد انقسم فيه ، ففريق يراه تقيا مؤمنا ، وفريق ناجزه وكفره . وسافر الشيخ إلى ايران وأقام بمدينة يزد ثم خراسان فطهران .

ذلك هو الشيخ أحمد الأحسائى ، مؤسس الفرقة الشيخية ، وهى الفرقة التى مهدت الطريق وأعدت العقول لظهور الباب ، لم تفعل ذلك مباشرة ، وإنما أتى عن طريق غير مباشر ، إذ أن الروايات عن المهدى المنتظر كانت تملأ العقول وتسيطر على الأفكار .

---

(١) راجع كتاب الملل والنحل ، تخريج الأستاذ بدران من ٢٧٧ - ٤٤٨ - طبعة الأزهر ، وكتاب المهدى والمهدوية للأستاذ أحمد أمين بك ، وهو كتاب يعطى فكرة سريعة عن هذا الأمر ، وكتاب روح الاسلام لسيد أمير على فيما يختص بالمقارنة بين اعتقادات أهل السنة والشيعة .

وكان الشيخ حر التفكير ، فلم يعبأ بالتقاليد التى كان يسير عليها الشيعة فى أيامه، فخالفهم فى استقبال ضريح الحسين بكربلاء حين الصلاة ـ كما هى عادة الشيعة ـ ، كما خالفهم فى بعض المسائل العقيدية ، فقال إن المعراج كان روحانيا لا جسمانيا ، وقال عن البعث : إن الجسم الإنسانى ترابى مؤلف من العناصر الأرضية وأنه يتلاشى بعد الموت بالكلية لا محالة ، ولا يمكن أن تكون له رجعة [بعث] أبدا ، وانتهى إلى أن القابل للبقاء والحرى بالدوام والأبدية والحشر والنشر ، إنما هو هذا الروح الإلهى الذى يعبر عنه بـ « هور قلبا » والذى هو من عالم المثال وجوهر الجواهر .

وكانت للشيخ آراء خاصة فى المهدى المنتظر ، وإن اضطر إلى مجاراة العامة فى القول بأن المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى ، وأنه حى لم يمت ، إلا أنه أردف ذلك بعبارات تدل على عقيدته الخاصة ، فقال : « إن الإمام ـ روحى له الفداء ـ لما خاف من أعدائه ، خرج من هذا العالم ودخل جنة هور قلبا ، وسيعود إلى هـذا العالم بصورة شخص من أشخاصه » وسئل لماذا سمى المهدى بـ « القائم المنتظر» ؟ فأجاب : «لأنه يعود بعد الموت» ، وسئل ما معنى قيام القائم من القبر ، وما حقيقة ذلك ؟ فأجاب : « يقوم من قبره أى من بطن أمه » وقال : إن جابلقا التى هى مدينة القائم ومكانه ، موجودة فى السماء ، لا على الأرض .

وهذه كلها أقوال صريحة الدلالة ، واضحة المعنى ، تدل على أن المهدى سيظهر من بين الناس ، وأنه تمكن معرفته بعلامات وصفات خاصة .

وإلى المقال القادم لنبين هذه الصفات ونتحدث عن ظهور الباب .

تهنئـــة

صغ التهانئ من آيات سحبان ... واختر جواهرها من صنع فنان
وأحكم القول واستلهم دقائقه ... وانسج غلائله من ذوب إتقان
فأنت تمـــدح رب القول مفرده ... حامى حمى الضاد فى علم وعرفان
« حمروش » والفصحى ارسى دعائمها ... له عليها أيادى المصلح البانى
فكيف أقوى على تدبيج تهنئة ... وكيف أقوى على قول وتبيان ؟
كناقل التمر يهديه إلى هجر ... وناظم الشعر يهديه لحسان
لو كنت تلهمنى من وحى خاطركم ... لقلت شعراً يحاكى شعر ذبيان
ولو رنت نحو أفكارى بلاغتكم ... لفاض شعرى رحيقا ملء أدنانى
يا واحد الضاد كم نادت شريعتنا ... « حمروش » أيقظنى حمروش أحيانى
أضفى عليها كثيراً من معارفه ... وذاد عنها بإخلاص وإيمان
فى كل علم تراه حجة ثبتا ... هيهات ليس له فى العلم من ثان
ماضيه يزهى بآثار محجة ... للعلم أخلص فى سر وإعلان

****

قد جئت والأزهر المعمور فى لجج ... يكاد يغرق فى موج وطوفان
ظلت سفينته فى اليم حائرة ... كم استغاثت ونادت أين ربانى؟
تلفت الركب من فى القوم ينقذها ... وقد تناهت إلى صدع وخسران
قالوا جميعا عليكم بابن بجدتها ... حمروش يخرجها للشاطىء الهانى
ألقوا مقاليدها فى كف قسورة ... يصول عنها ويحمى أى عدوان

****

أمانة الأزهر المعمور قد وضعت ... فى كفك السمح ترجو خير معوان
فكن حريصا عليها حرص مقتدر ... يصرف الأمر تصريفاً بإمعان
هناك تبـــذل أرواح مفدية ... ويمنحونك إحسانا بإحســان
قد اصطفاك مليك النيل عن ثقة ... فاهنأ بعطف من الفاروق هتان
حكومة الشعب أولتكم محبتها ... واست أملك إلا آى شكران

السباعى السناوى
المراقب بالأزهر

أثر الهجرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ السيد شريف
المدرس بمعهد القاهرة

إن هلال المحرم ليذكرنا بهذا الحادث الذى قام فيه الصراع بين قوم تغلغلت فى نفوسهم الجهالة ، وتمكنت منهم الضلالة ، ورجل من أشرف بيوتهم نسباً ، وأكرمها محتدا ، نشأ بينهم فقيراً ، وتربى يتيما .

فلما بلغ أشده واستوى ، قام يسفه آلهتهم ، ويحتقر عقائدهم ، وقد اعتزل عبادتهم فى فتوته ، وهجر ناديهم فى صبوته واتجه بنفسه إلى نوع من العبادة والتدين ندّ عن فهمهم واستعصى على إدراكهم ، حينما فاجأهم بصوت الواثق مما يقول ، المطمئن إلى ما يعتقد ، يا قوم : إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم ضرا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

ولكن قريشاً عز عليها ما ألفيت ، وهالها أن تفقد ما هى عليه من جاه وسلطان ، فتنكرت لهذه الدعوة الجديدة ، وعملت جاهدة على محاربتها ، والقضاء عليها فى مهدها ، قبل أن ينبثق نورها ، ويتألق فى الخافقين ضوءها .

وتنفيذاً لما عقدت عليه العزم أنزلت أقسى ضروب التعذيب ، وأنكى أساليب القسوة والاضطهاد بالمستضعفين الذين رأوا فى الإسلام عدلا ومساواة ، وتقريراً لكرامة الإنسان ، ونزل إلى هذا الميدان سادتها وكبراؤها ، وفى هذه الفترة امتحنت حرية الرأى بأشق وسائل الامتحان وابتليت بأعنف صنوف الابتلاء ، وقد كظم المسلمون غيظهم ، وصبروا يستعذبون الألم ، ويستسيغون مرارة المحنة حرصاً على دينهم ، وانتهازاً للفرصة المواتية التى يستطيعون فيها أن يحاسبوا الظالم ويواجهوا المستكبر ، ويخاصموا الباغى .

واستمر الرسول ومن ورائه الذين آمنوا به يدعون الناس إلى دين الله ، واندفع المشركون فى عتوهم وطغيانهم ، يسرفون فى الإيذاء لهم ، والتنكيل بهم . فقد أعماهم عن الحق الصلف والحرص على ما ورثوه عن آبائهم من رياسة وصدارة

وكان لصنيعهم أثر لم يقدروه ، فقد ازداد به الرسول وصحبه استمساكا بدينهم ، وكفاحاً لصون عقيدتهم ، مؤمنين بأن طبيعة النفوس محاربة الهداة والمصلحين ، ومطاردة الدعاة إلى المبادىء السامية والأغراض النبيلة (إن النفس لأمارة بالسوء) وموقنين بأن لهم - لا محالة - إحدى الحسنيين ، الشهادة أو النصر .

ولما لم تفد مع رسول الله وصحابته أساليب التهديد المتنوعة ، ووسائل الكيد التى لم يدعو شيئاً منها ، مالوا عن الشدة إلى الملاينة ، وعن العداوة إلى المصانعة ، وبذلوا له الوعود ومنوه بالمال والجاه ، وعرضوا عليه بيعة بالملك والطاعة ، فأجابهم فى حزم وقوة ، وثبات ويقين بقوله المأثور : والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته .

وكيف يرضى بما بذلوا من وعود . وهو الذى عرض عليه أن تكون له بطاح مكة ذهباً فقال : لا يا رب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما .

وقد دفع هذا الموقف الكريم المشركين بعد أن باءوا بالفشل فى محاولتهم إلى أن يزدادوا غياً على غيهم وضلالا على ضلالهم وبالغوا فى إيذاء المسلمين بكل ما هو فى مقدورهم غير متورعين ولا متعففين .

ولما كان هدف الرسول أن ييسر السبل لنشر دعوته . فقد بدأ يفكر فى الهجرة من مكة حفاظا عليها . وتمكينا لها . بعد أن ضاق ذرعا بإيذاء أهله . ومحاربة عشيرته . واستيقن أن تربة مكة وعليها هذا الكفاح المستمر . والنضال القوى لا تصلح موطنا للذى ينادى به فى أنديتها ومجالس سادتها وأشرافها . من حب وإخاء . ومودة وسلام . وحرية ومساواة . وقد أوحى إليه أن الصبر على الأذى . والإقامة على الضيم . ظلم للنفس وهضم لحقوقها . وقضاء على حريتها . وتمكين لليأس منها . ومن يرتضى لنفسه هذا الظلم ليستحق اللوم والتأنيب (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)

وأخيراً . بهذه الدوافع وبعد أن مضى من عمر الدعوة ثلاثة عشر عاما . ينافح ويكافح . قد أسر بدعوته حينا وجهر بها أحيانا باذلا أقصى ما يستطيع من جهد ووقت . حريصا أشد الحرص على أن يستجيبوا لما يدعوهم إليه . وقابل أذاهم

فى هذه الحقبة من الزمن . بصدر رحب ونفس مطمئنة . علمهم يثوبون إلى رشدهم ويذعنون لصوت العقل . ونداء الضمير ، ولكنهم بالغوا فى خصومتهم . وافتنوا فى عداوتهم . ولم يؤمن به إلا أقلية تنزهت عن الغرض ونأت عن العَرَض قَرَّ رأى الرسول الكريم على الهجرة من البلد الذى نبت فيه . ودرج فوق أديمه . واشرب قلبه حبه . يذكر معه أهله وجيرته . إلى البلد الطيب الذى أقبل أهله عليه يعاهدونه على الوفاء لدينه . وبذل النصرة لتعاليمه . ضاربا بذلك المثل الرفيع فى التضحية والإيثار . والمثابرة والاحتمال . مع بعد الشقة . ووعورة الطريق . وقسوة الصحراء . وكان المشركون يترصدون خطى الرسول ويتسمعون لأخباره وقد وصل إليهم نبأ الليلة التى قدرها لرحيله : وقد آوت فيها قريش إلى مضاجعها وسكنت فى مخادعها إلافتية قد ملأ الشر قلوبهم . وأكل الغيظ أكبادهم . فسهدت أجفانهم . وقد كانوا من شباب قريش الأشداء ينتمى كل فرد منهم إلى بطن من بطونها . حتى يتفرق دمه فى القبائل . فلا تقدر بنو عبد مناف على الثأر له . وتربصوا به أن يخرج ليقتلوه . فتهدأ ثائرتهم . وتستريح مكة من جلجلة هذا الصوت القوى . ولكن قضاء الله رد كيدهم إلى نحورهم . إذ خرج الرسول من مضجعه وهم قيام ينظرون . بعد أن ترك علياً يتدثر ببرده . يتحدّى الموت الماثل والهلاك الراصد .

ولما تبينوا فشلهم ردوا سيوفهم إلى أغمادها . وصدورهم تغلى حقدا . وتضطرم غيظاً وانقلب أعوان الباطل إلى أهليهم حيارى (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ثم عقدوا العزم على ملاحقة الرسول وصاحبه . وساروا يقتفون أثره الى أن وصلوا إلى غار ثور . وداروا حوله . ثم عادوا مهمومين آسفين . تلاحقهم الخيبة ويصاحبهم الفشل . مع أن أحدهم لو نظر تحت قدمه لرآهما . ولكنها رعاية الله لهما وعنايته بهما « إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها . وجعل كلمة الذين كفروا السفلى . وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

وبعد ثلاث ليال رحل إلى المدينة وفى جوها الندى العطر . تفجرت ينابيع الهداية . وشع نور التوحيد وتفتحت قلوب أهلها إلى الدين الجديد الذى آخى

بينهم على اختلاف قبائلهم وتفاوت مراتبهم وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية ـ فأصبحوا بنعمة الله إخوانا . (لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم . ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) وتسابق أهلها إلى رسول الله يعلنون إسلامهم فى صراحة لا تعرف الالتواء . وشجاعة عرفوها منذ القدم حببت إليهم أن يحملوا نفوسهم على أكفهم فى سبيل نصرته ، والدفاع عن دينه ، ويخرجوا عن أموالهم وديارهم فى سماحة ورضى لإخوانهم المهاجرين . وبعد حقبة من الزمن عاد الرسول وأصحابه إلى مكة فاتحين ، ثم توالت بعد ذلك فتوح القرى والأمصار .

وكانت الهجرة مفتاح النصر للمسلمين لأنها نوع من الجهاد الحق الذى يتسم بالقوة والإقدام ، ويجافى الضعف والتردد ، والذلة والاستكانة ، وفيها مغالبة لأهواء النفوس ، وحث على صون الحياة من الخنوع والهوان ، وهى مثل خالد يدفع الزعيم الذى يبغى التوفيق ، والقائد الذى يأمل الظفر ، أن يتزعم المجالدين المكافحين ويتقدم الصفوف ، ويبرز إلى مواطن التضحية ، ويقاسم أتباعه ما ينالهم من سراء وضراء ، وما يلقونه فى مجتمعهم من عسر ورخاء ، ما دام مؤمنا بحقه ، مخلصاً فى عمله ، يهدف من نجاح دعوته إلى إقرار المبادىء الإنسانية التى تحارب الفروق بين الطبقات وتشعر الجميع بالعدالة والحرية والمساواة .

وقد رسم الزعيم الأول صلوات الله عليه وسلامه ، الطريق المستقيم ، والنهج الواضح للسياسة الشعبية الحكيمة ، حينما قد الفرد لعمله لا لحسبه ، ووسد الأمور إلى مستحقيها ممن يتسمون بالكفاية والنزاهة ، والعفة والطهارة ، إذ يقول لأهله لا يأتونى الناس بأعمالهم . وتأتونى بأحسابكم .

وما أحوج زعماء المسلمين أن يأتسوا بزعيمهم الملهم ، فيصدفوا عن المآرب والأغراض ، ويتجردوا عن الأثرة وحب الذات ، ويتعرفوا آلام أممهم وآمالهم ليفسحوا لها مكانا فى ركب الحياة الكريمة ، وقد أورثهم هو ومن اتبع سننه دولة قوية الأساس ، متماسكة البناء . قادت الأمم ، وأرست بين الشعوب قواعد العدل والإنصاف ، ونشرت بينها ألوية التعاون والإخاء .

وفق الله القادة والزعماء إلى الطريق السوى ، وبصرهم بما فى الهجرة من قدوة حسنة ، ونهج قويم .

أمن المجتمع واستقراره
فى نظر الاسلام

لحضرة الأستاذ الدكتور محمود قباض
المدرس بكلية أصول الدين

يعنى الإسلام عناية كبرى بتوفير أسباب الأمن والاستقرار فى المجتمع ، إذ أن رقى الشعوب وتقدمها العمرانى ، وازدهار الحضارات والثقافات ، ورغد العيش ، وسلامة الفرد والجماعة ، وتحقق العزة والكرامة لها ، إنما يتوقف على سيادة الأمن ووجود الاستقرار فى المجتمع . فبدهى أن مجتمعا تحتله الفوضى ، ويسوده العدوان ، وتسيطر عليه المخاوف ، يصبح كقطع الليل المظلم ، لا يدرى المرء فيه هل يصبح إذا أمسى ، أو يمسى إذا أصبح ، ولا يدرى عابر السبيل أيعود إلى مأمنه أو لا يعود ، ولا يجد فيه البائس المحروم من يأسو جراحه أو يسدُّ رمقه أو يأخذ بيده من جحيم الحاجة ، ويعدم المتجبرون فيه من يكبح جماحهم ، أو يحد من استعبادهم للمستضعفين ، مجتمع كهذا يعيش الناس فيه تحت ضغط الخوف والفزع ، والجور والبطش واستبداد المسلطين . مجتمع كهذا المجتمع لا يمكن أن يرتقى شعبه ، ولا يمكن أن ينعم بالسلام والرخاء ، ومحال أن يتقدم فيه عمران أو تزدهر حضارة . وكذلك إذا وجدت مجتمعاً قلقا غير مستقر الأحوال ، تتداوله الثورات . وتتخطفه المطامع من داخله أو خارجه ، فلن تجد فيه مجالا للفكر والتحضر ، ما دامت « الذاتية » تفرقه فى لجج من المظالم .

أتذكر ياسيدى أننى قلت لك من قبل [1] : إن الإسلام كما مزج بين الأمور

---

(١) راجع كتابتنا فى المجلة فى السنة الماضية .

الروحية والأمور المادية ، مزج بين الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ، وجعل من هذا المزيج نظاما عاما ، يلتزمه المسلم على أنه دين واجب الاتباع ، ليس له أن يتحلل منه ، أو يحتال على الخلوص منه ، إلا بانسلاخه عن الإسلام ؛ فهذا النظام العام ، اسمه النظام الإسلامى ، وحرام عليك أن تنزل به عن مكانته العلية ، فى زحمة الأهواء البشرية فتصفه بشىء من مستحدثات البشر التى لا تستقر ، ولا تسلم من العيوب . ولا تنجو من النقد . كأن تصفه مثلا بالديموقراطية أو الاشتراكية أو غيرهما . وقد بينت لك فيما مضى أن سياسة الإسلام خاصة به ، وأن نظامه إسلامى فحسب ، واليوم أقول لك إن اقتصاد الإسلام ، ليس رأسماليا ولا اشتراكيا وإنما هو اقتصاد إسلامى فحسب ، وإليك حديثى :

الإسلام أول نظام عالمى سليم ربط السياسة والاجتماع بالاقتصاد ، وجعل من ذلك دواء لشفاء الإنسانية من أسقامها ، وسبيلا إلى تحقيق العدالة والاستقرار وتوفير أسباب الأمن والرخاء فى المجتمع الذى يعمل بأحكامه ، ويلتزم تطبيقها على كل أموره بدقة وعناية ، جادا غير هازل ، مؤمنا بسموه لا مواربا ولا مرائيا ، ولن تكون أحوال المسلمين — التى بلغت اليوم غاية السوء — حجة على عدم سلامة هذا النظام ، أو دليلا على قصور مبادئه ، فالمبادئ شىء ، وتطبيقها والعمل بها شىء آخر ، ومن المقرر عند أهل العلم ، أن كل مبدأ دينياً كان أو اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً ، إذا ثبتت صلاحيته بوسائل الاقناع المعروفة ؛ فإنه يظل صالحا نظريا ولو لم يعمل به ، فإذا طبق عمليا ونجح تطبيقه ، ولو مرة واحدة ، فأنه يصبح صالحا نظريا وعملياً . فإذا أساء المؤمنون به ، تطبيقه ، وحكموا فيه أهواءهم ، فلا توجه طعونك إلى هذه المبادئ الصالحة ، بل وجه سهامك إلى المؤمنين به ، وابحث عن جدية إيمانهم ، وعن مدى هذا الإيمان ، ومبلغ ما يأمرهم به من حسن وجمال ، وهذا هو شأن النظام الإسلامى العام .

فقد ثبت صلاحيته نظريا وعمليا ، وطبق بنجاح عجيب قرونا طويلة ، فحقق الأمن والرخاء ، والسلام والعزة للمؤمنين به ، ودل هذا التطبيق الناجح على أنه

نظام مثالى لازم لسعادة البشرية فى مختلف عصورها ، ولكن المسلمين أصابتهم لوثة المدنيات الخادعة ، فنسوا الله ، ونظام الله ، فأنساهم أنفسهم ، ووكلهم إلى أنفسهم ، فتحكمت فيهم . والنفس أمارة بالسوء . . فأساءوا التطبيق أولا ، ثم انسلخوا من نظامهم فتلتفتهم أطماع أعدائهم من كل مكان ، وأحيط بهم ، فأصبحوا يتقلبون أكفهم على ما فرطوا فى جنب الله . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

أقام الإسلام تنظيماته الاقتصادية ، على أسس فطرية واجتماعية ، كان إغفالها فى غيره من النظم سبباً للثورات والحروب الطبقية ، وأهم عوامل تقلقل المجتمعات البشرية ، واضطرابها فى محيط النظم المتغيرة فى مختلف العصور ، فأنت تعلم أن فى الإنسان غرائز ركبها الله فى طبعه ، وفطره عليها ، وأن هذه الغرائز تتحكم فى الإنسان وتوجهه إلى ما يلائمها ، وبما أن خالق الإنسان واحد ، وطبيعة الإنسان واحدة . كانت الغرائز فى الأفراد متشابهة تسعى إلى هدف واحد ، وكان لابد من التصادم بينها إذا تركت دون ضبط أو توجيه ، ومن أجل ضبط هذه الغرائز البشرية ، ومن أجل إحسان توجيهها إلى الخير والجمال ، كان التشريع الإلهى الذى بلغ ذروة كماله ، عندما بلغ الإنسان رشده ، وذروة نضجه العقلى . بالرسالة الكبرى على يد خاتم المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، فكان الإسلام آخر دواء نافع للإنسانية ، وآخر منظم للغرائز البشرية وما كان للإسلام أن يغفل فى تنظيماته لشئون الإنسان : غرائز الإنسان ، وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، بل إنه واجه هذه الغرائز بالترقية والتهذيب ، ودفعها إلى الخير العام ، وكان من فضل الله ، أن تستجيب غرائز الإنسان ، لغريزة الإيمان بالخالق ، والخضوع المطلق للكائن الأعظم الذى يوجه الحياة ، ولهذا كله تجد الإسلام يقرر ما يلى :

١ — حق التملك : يقر الإسلام الملكية الفردية ؛ لأن التملك أمر غرزى فى الإنسان ، وكل أفراد الإنسان سواء فى نسبتهم إلى الخالق ، وفى أحقيتهم فى التمتع بكل ما أباحه لهم ، ولأن التملك فى الوقت الذى يرضى فيه غريزة الفرد ، يبعثه على النشاط ويحفزه إلى العمل ، ويدفعه إلى العدل مع غيره ، مخافة أن يظلم

إذا ظلم ، أو يعتدى عليه إذا اعتدى على أحد (والخوف غريزة أيضاً) ، لهذا كان لكل فرد حق التملك ، والعمل ، والكسب ، وهو حر — غاية الحرية — فى تملكه ، لا تقيد ملكيته بقدر خاص ، ولا يجبر على كيفيته ، وهذا سبيل إلى العمران ، والنشاط الحيوى ، ووسيلة لسعادة الإنسان ؛ ولكن الإسلام وإن ترك للفرد حرية التملك ، فإنه يحتم عليه ، أن يكون تملكه ، وكسبه ، من طرق عادلة شريفة ، لا يداخلها الظلم والعدوان ، باستغلال حاجة المحتاجين ، أو اغتصاب أموال الضعفاء ، ولهذا حرم الإسلام كل وسيلة للتملك والكسب الممقوت . يشوبها ظلم ، أو اعتداء ، أو تبعث على الشر ، أو تثير الشحناء والبغضاء ، أو تحط من كرامة الإنسان أو تهدر حرمته ، فحرم الربا ، والميسر وكل أنواع المقامرة وحرم التعامل (بيعاً وشراء) بالخمر والخنزير وأهدر أهليتهما للتقوم ، وحرم أكل أموال الناس بالباطل اعتمادا على شهادة الزور ، وحرم الكسب عن طريق الفروج كما حرم الزنا ، وحرم الرشوة ، وحرم بيع مالا يملكه الإنسان الخ ما هو مقرر معروف فى كتب الفروع والأصول ، ثم انثنى يحرض الإنسان على العمل الشريف ، والكسب الحلال ، وابتغاء الرزق فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه . . ، ودعاه إلى مراقبة الله فى عمله ، وإحسان ما يوكل إليه إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، وذكره أن مرده إلى الله . وأنه مسئول أمام ربه عن حريته ، وعمله ، وكسبه ، إليه النشور ، وهكذا ترك الإسلام للفرد حرية التملك والعمل والكسب الحلال غير باغ ، ولا عاد ، ولا متأثم .

ترى هل يتفق الناس على السلام ؟ وهل يعدلون فى توزيع خيرات الله فيما بينهم ؟ إن الأفراد يتفاوتون قوة وضعفاً ، كما تختلف قدرهم على الكسب ، ولهذا لابد من وجود الغنى والفقر ، والغنى والفقير ؛ ولكن هذا العاجز والضعيف ، ومن لا قدرة له على العمل والكسب . لا يد له فيما يعانيه من ضعف أو عجز ، لأنه لم يصبغ نفسه هكذا ! وهؤلاء العجزة والضعفاء الذين لا يقدرون على العمل والكسب لهم حق الحياة ، ومن حقهم أن تكفل لهم معيشة كريمة تحفظ كرامتهم ، وعزتهم ، كغيرهم من بنى الإنسان القادرين ! فهل تدرك هؤلاء حكمة المشرع

سبحانه ، حتى لا يضـــل الضعيف أو يشق ؟ أم يترك للقادرين حبل التملك والاحتكار ، والغنى والتضخم ، ويترك للضعفاء حبل الحرمان والعوز والفقر المرير ؟ إن حرية التملك إذن خلقت مشكلة الغنى والفقر ، وهى مشكلة الإنسانية الكبرى ، التى تقض أمن المجتمعات وكثيراً ما تبعث الفوضى والثورات ، ولا زالت هى مشكلة الإنسانية الكبرى ، ولا حل لها عند الناس ، وقد حلها الإسلام منذ ١٣٧٠ عاما ، إذ آخى بين الغنى والفقير ، وسلك الغنى والفقير فى سلك واحد ، حملهما على المحبة والتعاون . . فكانوا بنعمة الله إخوانا » .

واجه الإسلام مشكلة الغنى والفقر بنظام اقتصادى بارع ، يرتبط بتنظيمه السياسى والاجتماعى ، ويشرف على توجيهه روح التدين فى كل مكلف من المسلمين ، وبه يحفظ التوازن تماما بين الضعف والقوة ، والعدل والظلم ، والغنى والفقر ، ويضمن أمن المجتمع واستقراره ، وإنى موجز لك الحديث فى فقرات قصيرة .

٢ ــ السيادة والحاكمية : قرر الإسلام أن السيادة العليا على كل شعب لخالقه وحاكمه الحقيقى ، ومالكه الأصلى ، سبحانه وتعالى ، وأكد أن وصف الحاكمية خاص بالله وحده ، لا يشاركه فيه فرد ، ولا أسرة ، ولا طبقة « إن الحكم إلا لله » « له الحكم . . » « الولاية لله الحق » وأوامر لله ، المالك الحاكم ، يجب على عباده تنفيذها من غير تردد ، أو تشكك فى مدى صلاحيتها ، ويقوم المؤمن بالتنفيذ ، تديناً ، بلا قيد ولا شرط ، ابتغاء مرضاة الله ، والوصول إلى مرتبة عليا من الكمال والجمال . « ذلك أمر الله أنزله إليكم » . إنما يستجيب الذين يسمعون . والموتى يبعثهم الله » « فأما الذين آمنوا فزادهم إيمانا » .

٣ ــ الانسجام بين الفردية والجماعية : لم يلغ الإسلام شخصية الفرد ، أو يهدر حرمته ، لصالح الجماعة (الدولة) مثلما ألغيت شخصيته ، وأهدرت حرمته فى الاشتراكية والشيوعية والنازية والفاشية ! وكذلك لم يهدر الإسلام « شخصية الجماعة لصالح الفرد ، كما تفعل الديمقراطية الرأسمالية الغربية . لم يفعل الإسلام هذا ، أو ذاك ، فلم يسلط الجماعة على الفرد تسخره وتستغله وتستعبده ، ولو كان ذلك على حساب صحته ومعيشته وكرامته ، وتحطيم معنويته ، ولم تسلط الفرد

على الجماعة (الدولة) يسخرها لنزواته ، ويستغلها لصالح شهواته ، ولو فنيت الجماعة ! بل جاء الإسلام بنظامه وسطاً بين الرذيلتين ، فأنشأ تضامناً بين الفرد والجماعة فى سبيل تحقيق الخير العام للجميع ؛ فأعطى الفرد حرماته الفطرية ، وجعل له حق التمتع بها بشرط ألا يعطل حريات غيره ، أو يعتدى عليها ، وضمن له كل ما من شأنه حفظ كرامة الإنسانية ، وكلف كل فرد بالحفاظ على حياته وحياة غيره ، وعرضه وعرض غيره ، وماله ومال غيره ، وألزمه بالعمل لصالحه وصالح غيره من الأفراد ، وصالح المجموعة ، وجعله مسئولا عن ذلك كله أمام الحاكم الحقيقى جل شأنه ، والأمة التى تتألف من أمثال هذا الفرد الكامل ، هى أمة مكلفة مسئولة أمام حاكمها سبحانه ، عن صالح الأفراد ، والصالح المشترك للفرد والجماعة ، فهى مكلفة بحفظ حياة الفرد وعرضه وماله وحرياته ، وتمكينه من العمل الشريف ، ومساعدته على تنمية مواهبه ، وترقية أحواله ، وهكذا حرر الإسلام الفرد من كل قيود الاستعباد والاستغلال ، ومكنه من حرياته ، وألزمه مصلحة الجماعة ، كما حرر الجماعة من تسلط الفرد واستبداده ، وألزمها مصلحة الفرد ، وبهذا يلتقى الفرد والجماعة ، وتمتزج مصالحهما ، ويتوجه نشاطهما لخير الجميع ، ويتضامن المؤمنون بهذا النظام ، ويتعاونون على البر والتقوى . لخير الجميع ، ويتواصون بالحق والصبر ، وتلتقى مسئولية الفرد بمسئولية الجماعة عن صالحهما فى نطاق التكليف الإلهى ، وهكذا تنسجم « الفردية » مع « الجماعية » ، ويتوجه نشاطهما للعمل على الوصول إلى غاية واحدة ، وهدف مشترك ، هو صالح المؤمنين الفردى والجماعى ، وبتوافق الفردية والجماعية ، وامتزاجهما ، سلم النظام الإسلامى من تسلط « روح الفردية » التى تتحكم فى الديموقراطية الرأسمالية ، وتسخر الدولة لصالحها ، كما سلم من « هوس روح الجماعة » التى تتحكم فى النظم الشيوعية والاشتراكية ؛ والنازية والفاشية . حيث يلغى اعتبار الفرد ، وتهدر حرمته وحرياته ومصالحه . فى سبيل ما يسمى مصلحة الجماعة (الدولة) ؛ ولعلك بعد هذا تدرك مبلغ الجناية على الإسلام ونظامه ، ممن يصفونه بالديموقراطية أو الاشتراكية .

« يتبع »

الاسلام والاشتراكية [١]

لحضرة الأستاذ سعيد زايد

ليس نظام الحكومة السائد فى انجلترا - من وجهة النظر الديمقراطية - كاملا بأى حال من الأحوال ، ومع ذلك فقد كان الإنجليز أسبق الناس إلى التنبيه إلى عدم دستورية نظام لجنة الاتحاد والترقى فى تركيا ، وإن الأسيويين الذين يبصرون بأعينهم استغلال الأغنياء للفقراء فى أوربا ، والسياسة الأتوقراطية التى تتخذها الحكومات إزاء العمال والاشتراكيين من اهل الغارة والنفقات الباهظة التى تجبى من أموال الشعب للإنفاق على مناطيد زبلن والمدمرات وغيرها والبطالة وجوائح الفقر والألم . لايسعهم إلا أن يضحكوا من عجرفة أوربا إذ تحاول أن تعلن عن نجاحها تحت ستار النظام الدستورى للحكومة .

وفى وسع كل امرىء أن يدرك أنه إذا كان الأسيويون والمسلمون قد فشلوا فى تنفيذ منهاجهم الدستورى فإنما يرجع ذلك إلى الصعوبات التى وضعتها أوربا فى طريقهم .

فلم تكد إيران تنهض بنفسها وتنمى ماليتها حتى تلقت ضربة من دولة أوربية معتدية ، وكذلك الشأن مع تركيا إذ حينما أرادت أن تقيم سلطة دستورية استهدفت لهجوم من جيرانها الأوربيين ، واضطرت إلى أن تفقد أجزاء من ممتلكاتها وإلى أن تجتاز فترة تعرضت فيها الحياة لنضال عنيف مع إحدى الدول الأوربية التى شاركتها فى إثمها معظم الدول الأوربية التى لا تدع فى الوقت الحاضر لكل من تركيا أو إيران فرصة تتنفس فيها لكى يتسنى لهما تنفيذ برنامجهما فى الإصلاح ، ولم يؤذن لكل من تركيا وإيران بالإنفاق لحسين حال الشعب واستغلال موارد البلاد .

---

(١) المقال الرابع من ترجمة مقدمة كتاب Islam and Socialism الاستاذ الهندى مشير حسين كيدوى المنشور سنة ١٩١٠ .

ولهذا فقد اضطرت الدولتان إلى أن تنفقا الجزء الأكبر من دخلهما على الجيش دفاعا عن النفس ، ومع ذلك فإنهما تتهمان بأنهما عاجزتان عن إدارة شئون الحكم على أسس دستورية ، فعلى إيران أن تتخلص من رجل مالى شجاع أمين ، وعلى تركيا أن تحل تلك اللجنة التى تقف حجر عثرة فى سبيل الخطط العدوانية التى تحوكها أوربا ، إذ تعتبر دكتاتوريه لجنة كبرى تتألف من شعب مختلف الأجناس والألوان والعقائد - فى نظر الأوربيين - أقل نصيب فى الديمقراطية من وزارة أوتوقراطية صغيرة فى بلد يحكمها ملك واحد من ملوك أوربا .

ولن يساور الإسلام خوف من المسيحية أو أى عقيدة أخرى طالما روعيت المبادىء الأخلاقية والاجتماعية للحياة ، فقد تغلب الإسلام على المسيحية عندما كانت فى أوج سلطانها . أما الشىء الذى يخشاه الاسلام والمسلمون فهو المادية ، فعلى المسلمين أن يكونوا على استعداد لمواجهتها وصدها ، لا بالتخلى عن فضائلهم ، بل بتزويد أنفسهم بتلك الأسلحة التى اخترعتها المادية لحماية فضائلها من اعتداءات من هم أقل منها فضيلة .

وهناك مثل شرقى جدير بالذكر يتمثل ما معناه « الماس يقطع الماس » « Diamond cuts diamond » . ولعل هذا هو المثل العربى القائل « لا يفل الحديد إلا الحديد » . ويجب أن تكون الخطوة الأولى التى يخطوها المسلمون متجهة نحو « تأميم » Nationalisation الامبراطورية التركية عامة والأماكن المقدسة بصفة خاصة . وينبغى أن تبدأ اشتراكيتهم فى الداخل مثل الايمان المسيحى، كما ينبغى إيقاظ روح الأخوة وروح المساواة القديمة بين المسلمين . وعلينا أن نكافح خلال نهضتنا الأخيرة الخرافات الدينية بعد أن توحدنا فى مناضلة المادية عدونا المشترك . ولقد تمسكنا يوما ما بمبادىء الاشتراكية السديدة والاتحاد الأخوى ، حتى صرنا أمة منظمة على جانب عظيم من التقدم . فإذا ما فعلنا ذلك فى هذه الآونة فلنستيقن من أننا سنمضى قدما رغم ما يحفنا من مخاطر . ومن سر تقدمنا فى الماضى خضوع الفردية للجماعية فلو أننا تغلبنا على النفس والأنانية مرة أخرى ووضعنا نصب أعيننا قضية مشتركة إذن لكسبنا معركة الحياة — رغم فقرنا فى السلاح — كما كسبنا حينذاك .

فقوتنا مركزة فى روحانيتنا التى لا تبلى ولا تقهر ، وفى شيوعيتنا التى لا تنهدم ولا يعتريها الانحلال ، وإذن فيجب أن تكون الاشتراكية الشيوعية أول خطواتنا نحو الاشتراكية العالمية . وستكون الأمتان الهندوكية والبوذية وكلتاهما منعمة بالروحية الثورية القوية من خيرة أحلافنا وشركائنا فى القضية المقدسة ، قضية الاشتراكية المطردة ، ومما يجدر ذكره أنه لا يسع المسلمين الهنود قتال الهندوكيين فصالحهم وصالح بلادهم رهن بحسن النية والتفاهم المتبادل بين الفريقين .

إنى أعجب من أن الساسة الانجليز قد نهجوا سياسة قصيرة النظر جدا ، ورغم ذلك فلا زلت أعتقد أن غريزة الدفاع عن النفس التى حملت انجلترا على أن تسعى لعقد حلف من اليابان ستحمل الشعب البريطانى أيضاً على أن يبذل جهداً جباراً ليخفف من حدة العواطف الثائرة عند ملايين المسلمين وستحملهم مرة أخرى على مصادقة الدول الإسلامية إبتغاء توطيد أركان أمبراطوريتهم الممتدة الأطراف . أما السياسة الحاضرة التى تنهجها انجلترا فإنها تتجافى إلى حد كبير عن عواطف المسلمين ولذا فهى ضارة بصوالح الأمبراطورية البريطانية .

ولقد يلوح أن مصير المسلمين والشعب الانجليزى واحد ، ولذا فإن من فائدتهما المتبادلة أن يعنى كلاهما بعواطف الآخر لا أن يضرب بها عرض الحائط ، وإذن فيجب أن تعنى بريطانيا العظمى فى سياستها الخارجية عناية تامة بعواطف المسلمين .

« يتبع »

من توجيهات الاسلام

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص قائده الذى وجهه لفتح فارس :

« أما بعد — فأنى آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال ، فأن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن عنايتهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوهم ، ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية . كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا ، لم تغلبهم قوتنا »

الأزهـــــريون

أساتذة شعراء العصر (١)

لحضرة الأستاذ الشيخ محمد كامل الفقى

المدرس بكلية اللغة العربية

كان جل شعراء العصر ، الحاملين لواء الشعر ، المعبرين به عن معانى الحياة حسبما تواتى لهم من القرائح ، وتهيأ لهم من الأسباب . من الأزهر الذى رضعوا أفاويقه ، واغتذوا بثقافته العربية ، ومن الطبيعى أن يكونوا وهم بهذه المثابة قدوة الناشئين ، وأئمة المبتدئين ، يهتدون بتراثهم ، ويمضون على غرارهم ، وينزعون فى قوسهم ، ولو جهدوا فى المخالفة ، وجدّوا فى المجافاة .

وليس ينكر أثر المتابعة والاقتداء فى الأفكار والأساليب ، وشعراء الأزهر إذ ذاك زعماء يوجهون ، وقادة يُتبعون ، فليس بدعا أن يسايرهم غيرهم ، وأن يدرس أساليبهم ، ويمضى فى طريقهم صعداً .

وإذا ساغ لفريق من الشعراء المعاصرين أن يتخطوا الأجيال والعصور ، وأن يستشرفوا ويمدوا أعناقهم إلى شعراء الجاهلية فيقلدوهم فى طريقتهم ، وينزعوا إلى محاكاتهم ، ويديروا شعرهم على أسلوب العرب الضاربين فى الفلا والبيد ، فيتغنوا بالعيس ؛ ويخاطبوا النؤى ، ويسائلوا الدمن والأطلال ، ويتشمموا الشيح والعرار ، على طول الزمن ، وترامى الأمد .

إذا ساغت المتابعة على انقطاع ما بين التليد والطارف ، والماضى والحاضر ، فأولى بها أن تكون بين معاصر ومعاصر ، وأولى بالتأثر أن يكون بالشاعر الذى يُرى ويُشاهد ، ويقول فيسمع ، ويُغشى ناديه ويُتلقى أدبه بالمشافهة والاستماع .

وإن الأبصار لتقلب فى دواوين القدامى ، وتغوص فى آثار الراحلين على انقطاع الصلة طلباً للاقتداء ، والتماساً للمحاذاة ، وأقل من ذلك عناء للشاعر أن يلبى داعى المسايرة لشعر يطرق سمعه بالرواية المعاصرة تصافح أذنيه من ألسنة قائليه ، ويتهادى إليه فى الصحف كلما سنحت فرصة أو واتت مناسبة .

ولقد كان فريق من فحول اللغة والأدب فى الأزهر أساتذة للرعيل الأول من نابهى الشعراء فى هذا العصر ، الرافعين علمه ، المقيضين له أسمى المكانات وأرفع المنازل ، أخذ هؤلاء الشعراء الذين تفاخر بهم العربية ، وتباهى بهم حواضر الأدب فى أزهى عصورها عن أساتذة من الأزهر فانتفعوا بعلمهم ، واسترشدوا بنقدهم ، وتملأوا من روايتهم ، ونزعوا منزعهم وجروا مجراهم فى تفهم الشعر ، واكتناه اللغة ، والتفطن لمواطن البلاغة ، تيسر لهم بهؤلاء الأساتذة ضروب من التوجيه ، وألوان من التشجيع ، بل وجدوا منهم ما خلق من ملكاتهم الحية الخصبة أسباب الخلود ، مما لولاه لظلوا مغمورين ، وعاشوا غير مجلين . وسنبين فى هذا البحث كيف استمد هؤلاء من أساتذتهم الأزهريين حياتهم ، وكيف نهلوا من فضلهم وعلوا .

« ١ » المرصفى والبارودى

لم يكن الشيخ حسين المرصفى زعيما من زعماء السياسة يلتف حوله دعاتها ، ويغص بهم ناديه فيؤمه البارودى أول نشأته متابعة لرأيه ، أو انتفاعا بجاهه ، ولم يكن المرصفى من سراة مصر وذوى النعمة فيها فتقوم بينه وبين البارودى صلة اليسار والرفاهية ، ويجمعهما الترف ولذائذ الحياة .

ولم يكن المرصفى من ذوى الصبوات الذين يهيمون فى مسارح الغيد والطلا فيتأكد بذلك الود بينه وبين البارودى ، فهو الشيخ الضرير ، التقى الورع ، المتوفر على العلم والأدب ، الغائص على أسرار اللغة واكتناه خفاياها .

لم يكن الدافع للبارودى على معرفة المرصفى والاتصال به وتوثيق الصلة بينهما شيئا من ذلك ، ولكن الشيخ حسين المرصفى كان ذا شهرة بالعلم وصيت فى الأدب يؤمه كتاب وشعراء ، ويقصده علماء وأدباء ، ويعرض عليه أدبهم فحول الأدب والبيان ، وكانت الزعامة قد انعقدت له فى التوجيه والنقد وغزارة العلم والبيان والبارودى منذ نعومة أظفاره ممتلىء حبا للأدب وإيثارا للشعراء ، وهوى للفصحاء وما من شك فى أن هواه هو الذى احتثه على المرصفى احتثاثا ، واجتذبه اليه اجتذابا ، يجد فى درسه ونقده وتوجيهه ما ينقع غلته ، ويروى صداه .

ولقد جهدت فى تحديد الصلة التى كانت بين المرصفى والبارودى ، وعنيت بها كيف نشأت ، وعلى أى وجهة كانت ، وأين كان الرجلان يلتقيان ، ولكن جوابا عن شىء من ذلك لم يتيسر لى فيما قرأت واستقرأت ، فقد يعرف كثير من الناس أن للبارودى صلة بالمرصفى وأن للأول بالثانى انتفاعا ، فقد استفاض الحديث عن ذلك حتى تحدث الشاعر نفسه به ، ولكن تحديد هذه الصلة من حيث بدؤها وكنهها غامض .

فلعل البارودى كان ليساره ونعمته قد سعى لاستدام الشيخ فى منزله والانفراد به فى مكان هادىء يتوفر فيه التلميذ على الانتفاع بأستاذه ، ويهيء له أسباب النفع والتوجيه ، ويجد من أستاذه كلما وفد إليه معلماً يعلمه وهاديا يهديه ، ومهذبا يصقل أدبه ، ويجلو بيانه .

ويتحدث المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى عن صلة البارودى بالمرصفى فيقول « من عجيب أمره (البارودى) ما نراه فيما كتبه عنه الشيخ حسين المرصفى منذ ثلاثين سنة وهو أستاذه[1] » .

ويقول الأستاذ عباس العقاد « إن المرصفى أستاذ البارودى وحافظ وقدوتهما فى الرأى والنقد وتذوق البيان[2] » .

ويقول كتاب المفصل « وأخذ عن المرصفى كبار المتأدبين فى عصره من أمثال البارودى فصاحبوه ولازموه وعرضوا عليه بيانهم فهدى ونقح وهذب » .

والمرصفى حين يتحدث عن البارودى يدل على أن البارودى تلقى عنه وتعلم منه فإنه يقول « إن البارودى لم يقرأ كتابا فى فن من فنون العربية ، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصور فى برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسبما تقتضيه المعانى والتعلقات المختلفة ، فصار يقرأ ولا يكاد يلحن » ولم نعرف أن البارودى اتصل بغير المرصفى ممن له دراية أو قرأ بحضرته دواوين الشعر .

---

(١) المقتطف الصادر فى ٢٦ من ذى القعدة سنة ٣٢٢ هـ الموافق أول فبراير سنة ١٩٠٥ م .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم ص ١٢ .

ويقول المرصفى « وسمعته مرة يسكن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين فقلت له فى ذلك فقال هو كذا فى قول فلان وأنشد شعراً لبعض العرب فقلت تلك ضرورة وقال علماء العربية إنها غير شاذة ، ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقداً شريفها من خسيسها ، واقفاً على صوابها وخطئها ، مدركا ما ينبغى وفق الكلام ومالا ينبغى[1] .

فالمرصفى يتحدث عنه حديث خبير به ، ويدل على أن البارودى كانت له معه دراسة وانتفاع ، وأن المرصفى كان يراجعه ويوجهه وينقده ، وما أظن أن البارودى قرأ هذه الدواوين الضخمة إلا عليه ، وأنه سمع منه نقده لها ، وتعليقه عليها ورأيه فيها .

والبارودى يقدر صلته بأستاذه ، ويفى حق الوفاء له ، يقول المرصفى ، « وكان حرسه الله كتب لأبناء وده كتباً وهو فى حرب الروس ولم تصل إليهم وظن وصولها وتقصيرهم عن المبادرة بالإجابة ، وقد وصل إلى أحد كتابين كتبها لى يوم قدومه إلى مصر بعد مدة طويلة من كتابه »[2] ومطلع هذه الأبيات .

ياناعس الطرف إلى كم تنام أسهرتنى فيك ونام الأنام

ويقول فيها .

طال النوى من بعدكم وانقضت بشاشة العيش وساء المقام

مولاى قد طال مرير النوى فكل يوم مرّ بى ألف عام

إلى أن يقول فى ختامها .

فتلك حالى لارمتك النوى فكيف أنتم بعدنا ياهمام ؟

---

(١) الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٤٧٤ .

(٢) الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٤٩٧ .

الدعوة المهاجرة

لفضيلة الأستاذ محمد خليفة

المدرس بالأزهر

لم هذه الأشباح تختلس خطاها بين دروب مكة وقد كساها جناح الليل كأن حدثا جسيما يوشك أن يقع فاختنقت الأنفاس ، وتحسس كل سار موطىء قدمه كأنما يسترق خطاه ؟ ولم ادرع هؤلاء الكماة من شجعان قريش وفتاكها وشحذوا السيوف والخناجر وثقفوا الرماح والحراب ، وراشوا السهام كأنما يتأهبون لصد غارة ما حقة ؟

ولم هجر هؤلاء الكهول فى الليل البهيم دورهم ، وساروا تتعثر أقدامهم وترتعش فرائصهم وتغلى بالوساوس والهواجس رؤوسهم ؟

ولمن هذه الدار الأسيرة تتطاول فوقها الرماح وتقوم حولها زرق الأسنة ، ويكاد يتطاير لهيب الغيظ ممن حولها ليلتهم من فيها ؟

ومن ذلك النائم الحالم تسبح روحه بين ألوان من الرؤى فلا يتيقظ ألا على حفيف أجنحة الرحمة تخفق حوله ؟

أن وراء كل هذا مؤامرة دبرتها الوثنية الحمقاء للحنيفة السمحاء ، عبأ الباطل لتنفيذها كل عات طاغية ممن أسلموا وجوههم إلى اللات والعزى ، ووقف الحق متحفزاً لحماية من أسلم وجهه إلى الله .

مؤامرة حشد فيها الشيطان كل ما يملك من الشر والغدر ليفتك بالدعوة وصاحب الدعوة ، وليعيد أولئك الذين مسحوا عن جباههم تراب الوثنية وسجدوا فى محاريب الحق إلى السجود بين يدى مناة وهبل .

لقد دفعت معجزة القرآن رقة الشعر وسحر البيان ، وعجزت مغريات الملك والمال عن أخضاع محمد لخداعها ، فليكن الحكم للسيوف يهوى بها فتاك

القبائل ، فيتفرق دمه بينها وتموت الدعوة فى مكة قبل أن تتخذ لها سبيلا إلى بلد ينصرها أو قوم يعزونها ويعتزون بها .

ولمست همسات الوحى سمع محمد صلى الله عليه وسلم تؤذن بالهجرة ، فألقى بردته على أول فدائى عرفه الإسلام : على بن أبى طالب الذى اضطجع فى مخدعه ليتلقى عنه الطعن وليكون الضحية ، وإنه لحبيب إلى نفسه أن يفدى محمداً ودعوة محمد .

وتقدمت عناية الله بين يدى محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، تهز رؤوس الطغاة فيلعب بها دوار ليس بدوار النوم ولكنها الغشية ألقاها الله على رؤوسهم فهم لا ينهضون وهم لا يبصرون ، وضحك الحق من الشيطان ومما دبر الشيطان ، إنها ضحكات السخرية والاستهزاء ، فليعبىء الوجود كل قواه وليجند الشر شياطينه فأن كل ذلك لا تكترث به قوة السماء .

وخرج محمد صلى الله عليه وسلم فى كنف الملائكة يدلف إلى بيت أبى بكر ، ورفت على السحر همسة مطمئنة تناجى أبا بكر إلى الغار . إلى الغار لتتخذ فيه إلى جوار الله ملاذا من تطفل العيون وحتى من مواطن الظنون .

لقد أقام فى غار ثور ثلاثة أيام صنعت فيها المعجزات خوارق تحدت قصاص الأثر وسخرت من كل كيد ومكر ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

وهاجر محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته مستهينا بما عسى أن يلقاه من قريش ومن عنت قريش ، مستعذبا هجير البيداء وحرها اللافح ، غير مكترث بذؤبانها أو عابىء بوحوشها .

لقد هجر الوطن الحبيب الذى تفتحت عينه على سمائه وليدا ودرج فوق رماله طفلا ، الوطن الذى كان يعيش فيه بين ذكريات حبيبة إلى نفسه ، ذكريات الأيمان والحب والصدق تضفيها على قلبه زوجته خديجة رضوان الله عليها .

لقد هجر كل ذلك ، وكل ذلك حبيب إلى روحه ، ليتخذ مكانا للدعوة خصيبا ، يزهو فيه غرسها ويطيب ثمرها .

وهكذا هاجرت الدعوة الإسلامية إلى المدينة يحملها قلب لاتلين جوانبه لعواصف الشرك ، ولا تتضعضع أمام حماقة الوثنية وطغيانها .

هاجرت الدعوة التى عاشت فى مكة غريبة لا ينصرها أو ينتصر لها غير نفر من سادات قريش وجماعة من المستضعفين والعبيد، هؤلاء وأولئك قلة لا تذكر إلى جانب المشركين، لتتخذ لها فى المدينة مكانا بل سلطانا.

هاجرت الدعوة الطريدة المحاربة، لتدخل مكة بعد سنوات غازية تحطم الأصنام وتطيح بالأوثان.

هاجرت الدعوة التى أحبها الفقراء وحاربها الأغنياء ونصرها المملوك وآذاها أشباه الملوك، لتعود إلى مكة فتمحو عتو الجاهلية، وتذل كبرياء الأسياد وخيلائهم، بفضل بلال وأمثال بلال ممن هاجروا مع الدعوة مغلوبين وعادوا غالبين، تظللهم ألوية النصر والفتح المبين.

هاجرت الدعوة لتربى هنالك جيلا جديداً، بل شعباً، بل أمة تفنى ذوات أفرادها فى سبيلها، لقد انتشلت النفوس من أمراض الجاهلية، لتضعها فوق شواظ المكاره، حتى إذا ما انتقى عنها خبثها وعادت صافية كفطرتها الأولى، بنت منها الدعوة البناء الذى لا تهتز قواعده أمام بطش السلطان أو خداع الشيطان، ولم يكد ينقضى نصف قرن من الزمن على هجرة الدعوة إلى المدينة، حتى رفرفت ألويتها فوق ربوع الهند وفارس وما وراءها والشام ومصر والمغرب، إنها دعوة تبنى الشعوب والأمم على دعائم من الأخلاق، إنها دعوة تجمع الغنى والفقير، والسيد والمسود، والحاكم والمحكوم، فى صف واحد بين يدى الله، يعلنون جميعاً أنهم سواء فى الخضوع لصاحب العزة والجبروت، فكيف لا تؤمن بها الشعوب التى قاست حكم الفرد وطغيان الفردية واستبداد القيصرية.

أيها المسلمون:

إن مئات من المسلمين هاجرت بهم وإليهم الدعوة استطاعوا بإيمانهم وعزائمهم وتفانيهم فيها، أن يبتنوا مجداً لاتحميه اليوم مئات الملايين من المستضعفين والمستعبدين والذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، لأن المئات التى نصرتها كانت قلبا واحداً، ونحن اليوم مئات الملايين من القلوب المتنافرة المنحلة.

أيها المسلمون

جاهدوا أنفسكم وحاربوا أهواءكم واستمدوا من كتاب الله وسنة رسول الله . هادياً يضيء لكم مستقبلكم ، ألا وإن سبيل المجد كله أشواك ولن يستطيع السير فيه منعم مترف متخم .

أيها المسلمون

هل تعود الكلمة للدعوة ، فيعتز المسلمون وتسود شعوبهم ، وتهاجر الدعوة من جديد لتغزو وتفتح وتقوض عروش الجبابرة ، وتؤذن فى العالم الله أكبر والمجد للأسلام ؟

أيها المسلمون

هاجروا إلى ما هاجرت إليه الدعوة ، إلى التضحية ، إلى التفانى ، إلى الكفاح فى سبيل الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إفحـــام

وفد عقيل بن أبي طالب ، على معاوية بن أبي سفيان ، مغاضبا لأخيه أمير المؤمنين على ، فقال له معاوية : كيف تركت عليا ؟ قال عقيل : تركته مؤثراً لدينه على دنياه . قال معاوية : وكيف تجدنى ؟ قال عقيل : أجدك مؤثراً دنياك على آخرتك . قال معاوية : إنى أنفع لك من أخيك ، ولولا أنك وافد إلينا لاسمعتك ما يؤلمك ! ! قال عقيل : نعم ، أنت أنفع لى فى دنياى من أخى ، وأخى أنفع لنفسه فى أخراه ، ولقد تعلم يا معاوية أن المال غاد ورائح ، وأن فينا الثرى والرماح ، وأن الله يصرف القلوب ! فسكت معاوية ولم يجبه .

محاربة الاسلام للفقر

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

الأمم الآن تعمل جاهدة مجهودة للنهوض بالمستوى الاجتماعى بكل ما تملكه من الأساليب ، معتمدة أنها لا تصاب بالضعف الخلقى ولا المادى إلا حين تنحط عن المستوى اللائق بها كدولة ، والجدير بها كشعب ، وبخاصة من يقع منها تحت نير الاستعمار ، وغائلة الاستعباد ، لأن ذلك يُقَـلِّم أظافرها ، ويجعلها دائماً أبداً فريسة الغاصب ، ومطمع المستبد . . وقد اختلفت الطرق المؤدية لذلك النهوض ، والوسائل التى يتخذونها لهذا كله ، ولا نتعرض لها بعنوان كونها تصلح لأن تنفخ فى الأفراد والجماعات روح الوثوب واليقظة ، والتقدم والعمران ، بأكثر من عقاقير مما وصل إليها العقل البشرى المعاصر ، والفكر الإنسانى الكليل ، وهى من أجل هذا عرضة للمحو والإزالة ، والتغيير والتبديل ، والثورة والسخط والألم والغضب ، والكراهية والازدراء . . وصدق الله العظيم ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

والدول التى تتأجج بينها فى هذه الآونة نيران الشر ، وتحمى لديها وطيس التفور والبغضاء ، تدعى كل واحدة منها أنها تدعو إلى السلام ، وتعمل على الوصول بالبشرية إلى النظام والاستقرار . . . وقد دل التاريخ الصادق على أن الإسلام كان أول الاديان علاجا لهذه الجرثومة الخلقية الحقيرة ، والديدن الآدمى المزدرى ، ويخطىء من يظن أن عنايته كانت تنحصر فى مديد المعونة للبائس المحتاج ليدفع عنه ألم الجوع ، ومرارة السغب ، فإن هذا أقل ما يعنى به ، ويحاول أن

يحول بين الناس وبينه ، وإذا كان قد جعل فيما جعله من تكاليف يلتزمها المسلمون ويقومون بها قياما مفروضاً أن يكون فى أموالهم « حق معلوم للسائل والمحروم » فإنه لم يقصد لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تعيش عيشة التكايا والملاجىء ، والعطل والتشرد ، لأننا نعلم أن أبغضه ما يبغض للدولة أن يكون فيها قاعدون عن السعى متخلفون عن الركب ، نائمون عن الواجب ، متغافلون عن أمور دنياهم . وفى السنة أحاديث عن بعض المتبتلين الذين أرادوا أن يتجردوا من الحياة كل التجرد تاركين لغيرهم من إخوانهم وذوى قرابتهم أمر معاشهم زاعمين أن ذلك منتهى الطاعة لرب الأرباب ، فلما تناهى خبرهم للرسول الأعظم صلوات الله وتسليماته عليه قال ومن يقوم بخدمته ويلاحظ شؤونه . . فلما قالوا له نكفيه مؤنة ذلك يارسول الله ، قال كلكم خير منه .

ثم نصح للرجل أن يكون معتدلا فى تبتله بحيث لا يدع أموره لسواه ، لأن السعى فى طلب الرزق ، والدأب للقيام بحاجات أولاده لا يقل ثوابه عند الله يوم القيامة عن الصلاة والصوم ، والزكاة والحج . . وفى القرآن ما يفيد هذا المعنى ، فى مثل قوله « فإذا فرغت فانصب » وقوله « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » وقوله « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

على أن من خطل الرأى ، وأفن العقل ، أن يقال إن الدين يعطى هؤلاء ثم يقول لهم هذا مآلكم . وتلك نهايتكم ، وذلك مصيركم ، ولا كرامة لآدميتكم التى كرمها الله ، ولا عزة لنفوسكم التى جعل سبحانه وتعالى لها العزة ، ولا بأس من أن تعيشوا على ضراعة السؤال ، وذلة الحاجة . . فإن الآية الكريمة حينما قالت « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم الخ » لم تقصد إلى أن تظل هذه الأنواع مدى العمر كله منقطعة السبح للأخذ من أوساخ غيرها دون أن تنهض للعمل ، وتتحضر للكسب ، وتتهيأ للغنى ، وتنشط لأن تحسن حالها ، وتتزاحم بمناكبها فى هذا المعترك الصاخب . . ونحن نعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره السائلين ، ويستعيذ بالله من الفقر ، وكان كثيراً ما يقول لأصحابه رضوان الله عليهم حاسماً لهم على أن يكونوا دائماً أبداً فى الطليعة

الأولى ترمقهم الأنظار ، وتشرئب إليهم الأعناق ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، ولو أن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تدبروا معنى هذه الكلمة لكانوا سادة العالم ، وملوك المعمورة ، ولكنهم ارتضوا لأنفسهم من الشريعة القشور ، وتركوا اللباب ، وعمر بن الخطاب حينما كان يقول « لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، كأنما كان يعلنها حربا شعواء على هؤلاء الكسالى الذين يرضون بفتات الموائد ، وفضلات الأطعمة ، من كل من سلبه الله ماء وجهه فهو لا يبالى ما يريقه منه .

والإسلام لما أراد معالجة الفقر لم يعالجه بإصلاح حال الفقراء والحث لهم على السعى ، وتنفيرهم من مذلة السؤال ، دون أن يوجه اللوم إلى الأغنياء ، والسخط على أصحاب الثروات ، الذين يضنون بمعروفهم ، أو يتقاعسون عن برهم ، الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وربما بالغ فى هذا فأفهمهم أنهم مستخلفون على هذه الأموال لا أكثر ولا أقل ، كما جاء فى الحديث القدسى « الأغنياء وكلائى والفقراء عيالى فإن بخل وكلائى على عيالى أذقتهم وبالى ولا أبالى » .

ونخجل المتفقه فى الدين الإسلامى إذ تصادفه أمثال هذه النصوص التى توصى بترابط المسلمين ، ومؤازرة بعضهم لبعض ، أنه أول شريعة فى الدنيا جاءت بما يسمونه فى هذه الأيام « التضامن الاجتماعى » .

وفى الحق إنه لكذلك .. لأنه قام على الأخوة ، وكل تعاليمه تنتهى إلى الأخوة ، والأخوة أن يكون المسلم أخاً للمسلم فلا يقصر عن معونته ، ولا يتخلف عن نصرته ، ولا يتوانى عن أن يجعله فى موضع الرضا والارتياح مهما كلفه ذلك ، وحمله من مشقة ، وأن يكون له - كما جاء فى الحديث - كالبنيان يشد بعضه بعضاً ؟

مجالات فى الأدب :

سهام ابليس ...!!

لفضيلة الأستاذ الشيخ كامل عجلونه

المدرس بالأزهر

نتاج القرائح مدخول تحفظه أوعية الآثار الأدبية ، وهو أمشاج ابتلاها الصهر ، فجاءت مسواة على خلق صادق ، فيه ما يعرفه الخلق السوى فيرضاه ، وفيه ما يلمسه الورع فيتحاشاه ويتحاماه .

ولكنه على الرضى والكره من الأدب المفتن المنضوح بالجمال والمضمخ بفيض الابداع . نلذه ونرويه .

« كما لذ على الكره كلام الله للشرك »

والرسول الكريم ينصح عليا سيف الله المسلول بقوله : « يا علىُّ ، اتق النظرةَ بعدَ النظرة ، فأنها سهم مسموم يورث الشهوة فى القلب » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نظر الرجل إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس » .

وأبليس له سهام يرمى بها وتصيب من المغلوب الكلىَ والمفاصل وتودى وتخضع الرأى والعقل والقلب .

وهو مسلط سلاطته خفية تجرى من ابن آدم بين اللحم والدم ، وإن شئت فقل إنها تخالط حتى ذرات العظم .

والناس قديما وحديثاً تعرضوا لسهام العين ، وأمسكوا بجنوبهم على جراحات سال دمها أحمر قانيا ، وكانت سهام أبليس هى صاحبة الجريرة .

والقرآن الكريم جاء بأمر الله (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم . . .)

والسهم الأول فى أرساله الطبعى أنما هو نظرة أولى ووقعة إذا لم تتبع نجا صاحبها وتمائل ، ولم تكن عليه .

وإذا برقت مياه أبليس وجعلت من سرابها الخلاب وبموهاتها الجذابة موجات لاعبة بحسب الظمآن فيها رياً وشفاء لحرمانه وحرقاته فأطاق أطاعه وراح يعيد النظرة ويدمنها ويكررها ، ثم تمزز لعابه حين يسيل على جنبات الأشعة المتناثرة من السراب ، فعند ذلك تنظر من النظرات خفقات القلوب واضطراب الأضالع ثم تسكاب الدموع الساخنات ، وأقم صريع السهام ما شئت من المآتم واذرف عليه ما جدت به من دمع العين التى تسعد أختها وتسعف أختها شبيهتها فما من عين إلا ونظرت ، وما من طرف إلا وارتمى ورنا ولكن الله سلم . .

ولعل العرب فى فطرتهم على البيان الموجز . كانت على بينة معجزة من أمر النظرة ، وعلى إلهام فى تصوير إحدى سهام إبليس الذى يزين ويمشى فى الناس ضاحكا من بكائهم هازئا من لوعتهم وشكاتهم .

قالت الأعراب : « اسرع من طرف العين والعين ترجمان القلب » ، « ورب عين أنمّ من لسان » و « لحظة أصدق من لفظة » وأخيرا وهو أول من الأول وأصدق من الصدق « من أطاع طرفه أصاب حتفه » .

وعرف الذين فلسفوا أسباب العشق أنه يتأكد بإدمان النظر ، وأنه لأول الحب ، كما أن أول الحريق الشرر .

* * *

وما أحسن ما وصف المخوفون (من أطلق طرفه أطال أسفه) (واللحظات تورث الحسرات أولها أسف ، وآخرها تلف . فمن تابع طرفه تابع حتفه . .)

ويعجبنى المأثور عن أبى الفرج بن الجوزى « البصر صاحب خبر القلب . ينقل إليه أخبار المبصرات وينقش فيه صورها ، فيجول الفكر فيها فيشغله عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة . فاحذر من شر النظر فكم أهلك من عابد وفسخ عزم زاهد . وهو سبب الآفات إلا أن علاجه فى بدايته قريب فإذا كرر تمكن الشر فصعب علاجه » .

إلى أن يقول عن النظر . . ويخرج بصاحبه إلى المحن ويوجب ارتكاب المحظورات ويلقى فى التلف .

ويحضرنى من آثار تلك السهام الداميات من يصور ضجرات وصرخات وحسرات وآنات واعترافات وأخيرا ندامات تلقى التبعات على الأعين التى تمثل دور ابليس ، وأن العين الجانحة للشيطان (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى . إنى كفرت بما أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب أليم)

* * *

وسهام إبليس كثيراً ما تتلفها الدموع وأنها أم البلايا ، وزادها من حصب الندم وحطب الأسف .

وهذا هو الفرزدق يبدأ بالزاد ويعترف بالتهامه دون أن يشعر ويعجب لتلك السهام ، وهذا السلاح الذى لم يلبسه ولم يشهد مقتله تشبهه فى صرعاه ولا فى مسالكه .

تزودَ منهـــا نظـرة لم تدع له فؤاداً ولم يشعر بما قـد تزودَا
فـــلم أر مقتولا ولم أر قاتلا بغـير سلاح مثلهـا حين أقصدا

* * *

وابرهيم بن العباس بن صول ، يصارحنا حين نجا من الهزيمة المجلوبة بالعداوة والحسد وأتى من النظرة والفكرة ، فيقول :

فمن كان يؤتى من عـدو وحاسد فأنى من عينى أتيت ومن قلبى
هما اعتورانى نظرة ثم فكـرة فما أبقيـالى من رقاد ولا لب

* * *

وفى ساعة العسرة الضائقة يصرخ الشاعر وينحرف به اليأس وتشط الحيرة فى ظلام البلاء بالمعشوق كمثل اللوعة المبثوثة من اسماعيل بن عمار الأعرابى .

عينـان مشئومتان . ويحهما القلب حـــيران مبتلى بهما
عرفتـاه الهـــوى يظلمهمـا يا ليتنى قبـــله عـدمتهما

وأكثر الشعراء على أن حبهم الفاشل ودلال من دل عليهم حتى أذلهم أو تركهم أحياء كالموتى أو قتلى يمشون فى الناس، إنما الجرم الأول كان من أعينهم أو من سهام إبليس حتى زعيم الشعراء أو ناظم حكمة الفلاسفة (المتنبى) :

وأنا الذى اجتلبت المنية طرفة فمن المطالب ؟ والقتيل القاتل

* * *

وتلك اللاحظات المسرفات اللاهيات التى تجنى على الأنفس وإن عفت وتدخل الأخبار على القلوب. إن كانت من زيف مدخول إنما هى آذنات خدعت الأجفان واستغفلت الحجاب فسولت وزينت وأنزلت بالقلوب الفواقر القواصم كما صور أبو منصور بن الفضل فى رقة وصدق :

لواحظنا تجنى ولا علم عندها وأنفسنا مأخوذة بالجرائر
ولم أر أغبى من نفوس عفائف تصدق أخبار العيون الفواجر
ومن كانت الأجفان حجاب قلبه أذن على أحشائه بالفواقر

وأخيراً نضع أمام القارىء نقمة أبى شجاع الوزير وما توعد بها سهام إبليس من ترة وعذاب للتى سفكت دمه فجعل يسفك دمعها، والتى أوقعته فى حبائل فراح يلومها ويجعل ذنبها من ذنوب موقد الفتنة والبادىء بالظلم وإنها لظلوم :

لأعذبن العين غير مفكر فيها، جرت بالدمع أم فاضت دماً
ولأهجرن من الرقاد لذيذه حتى يصير على الجفون محرماً
سفكت دمى فلأسفكن دموعها وهى التى بدأت فكانت أظلما
هى أوقعتنى فى حبائل فتنة لولم تكن نظرت، لكنت مسلما

* * *

هذه أيها القارىء قطرات من مسائل تلك السهام نوردها لنعذر شكاتها ونجتث مخاطرها، ومن يلق أسباب الشكاية واضحة كان عليه أن يباعد بينه وبينها ولا عليك من الهاتفين بأن الهوى قدر ومن المنسابين وراء القطرات.

أيها القارىء. تلمس وتحسس طرف النظرة ثم ردها طوعا أو كرها. وإلا حقت عليك الزفرة واللوعة وشقت لياليك من سهر الهوى والهوان، وكنت صريع سهام براها إبليس، ونامت عنها أعين الحفاظ والتوقى ؟

بغـــداد

للاستاذ عبد المنعم محمد الشيخ

مدرس أول الآداب بالمعاهد الدينية

سأتناول فى بحثى هذا ، مدينة بغداد منذ أسسها جعفر المنصور إلى أن انحطت مكانتها ، بزوال الخلافة العباسية منها على أيدى التتار عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)

وأحب فى مستهل هذا البحث أن أذكر المهم من المصادر التاريخية التى تحدثت عن نشأة هذه المدينة . فمن هذه المصادر كتاب « بغداد أثناء الخلافة العباسية Bagdad Under the Abasid C. » لمؤلفه المستشرق لوسترانج Le Strange ، ومنها كتاب البلدان لليعقوبى ، وكتاب الأمم والملوك لابن جرير الطبرى ، وكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .

ويحسن أن نشير إلى العواصم الإسلامية التى سبقت بغداد ، إذ جرت العادة على أن تتخذ كل أسرة إسلامية تلى الحكم ، حاضرة جديدة ، تلائم وجودها وحياتها ، فلقد اتخذ الرسول عليه السلام يثرب « المدينة » حاضرة له ، وظلت حاضرة الإسلام والمسلمين حتى جاء على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فنقلها إلى « الكوفة » التى كانت مهداً لتشيع متطرف ، بينما كانت المدينة مركز أهل السنة الذين ما فتئوا يذكرون أبا بكر وعمر وعثمان ، على أننا نستطيع أن نقرر هنا ، استناداً إلى ما جرت به الأحداث التاريخية فيما بعد ، أن علياً لم يكن موفقاً فى تفضيل الكوفة على المدينة ، إذ بذلك قد هدم التوازن الذى أقامه أسلافه بين القبائل العربية ، ووضح له فيما بعد ، أن اعتماده على أهل الكوفة لم يكن الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

ولما انتقلت الخلافة إلى « معاوية بن أبى سفيان » اتخذ « دمشقاً » حاضرة للأمويين ، ولا غرابة فى ذلك ، فنحن نعلم أن الشام كان مركزاً لدعوته وأنصاره ، وهو بالإضافة إلى ذلك خصيب التربة ، مجاور للحجاز ، قريب من مواطن القبائل

العربية التى اعتمدت عليها الدولة الأموية . ثم إن دمشقاً كانت بحكم قربها من الامبراطورية البيزنطية ، ذات موقع ملائم لحشد الجيوش ، التى ترد غارات هذه الدولة المجاورة المعادية .

ولما جاء العباسيون ، لم تعد دمشق ، تصلح لأن تكون مقراً لخلافتهم ، ذلك لأنها أموية النزعة ، ولأنها بعيدة عن فارس ، مصدر قوة العباسيين ، ومركز دعوتهم بخراسان ، لذا لم يطمئن العباسيون إلى وجود حاضرتهم بالقرب من الدولة البيزنطية ، وهى العدو التقليدى ، فى حين لم يكن لهم بين العرب عصبية تشد أزرهم ، ثم إن العباسيين أدركوا فيما بعد أن التوسع شرقاً أسهل منه فى الغرب ، حيث توجد الدولة البيزنطية ومن ورائها العالم المسيحى يشد أزرها .

من ذلك نستطيع أن نقول : إنه كان من المناسب إذاً أن يعدل العباسيون عن دمشق كحاضرة لخلافتهم ، وأن يستبدلوا بها مدينة تقع على مقربة من بلاد الفرس . ولقد أقام « أبو العباس السفاح » الخليفة العباسى الأول ، « بالأنبار » ، وهى مدينة فارسية قديمة تقع على الشاطىء الشرقى للفرات ، ولما جاء « أبو جعفر المنصور » الخليفة العباسى الثانى ، اتخذ مقر خلافته مبدئياً فيما بين الكوفة والحيرة ، غير أنه رأى أن هذا المكان الجديد لا يصلح مقراً للخلافة ، لقربه من الكوفة مهد التشيع العلوى ، ومقر القبائل العربية التى تثير الفتن والقلاقل ، ثم إن الكوفة وما يجاورها من البلدان تقع فى نهاية الصحراء العربية التى تهب رمالها على شاطىء الفرات الغربى . ومن هنا بدأ « أبو جعفر المنصور » يفكر فى حاضرة جديدة يتخذها مقراً لخلافة وطيدة الأركان .

واختار رواد المنصور مكاناً ملائماً لإنشاء الحاضرة الجديدة ، بالقرب من « بارما » جنوبى الموصل ، فى سهل ترويه مياه دجلة ، وجداول الفرات ، وكان مكان بغداد مزرعة يقال لها المباركة . ويقول « ياقوت » إن كلمة بغداد فارسية الأصل : « باغ » ومعناها بستان و « دار » اسم للرجل الذى كان يملكه ، ويقال : إن « باغ » اسم لصنم و « داد » تعنى أعطى ومنح ، ويقول « النسائى » : إن بغداد معناها « دار السلام » ، ويقال أيضاً : إن بغداد كانت سوقاً يقصده الصينيون للتجارة ، وكان لهم ملك اسمه « بغ » فإذا انصرفوا عائدين إلى بلادهم ، قالوا « بغداد »

أى أعطاهم الملك الربح . ومما يدل على فارسية هذا الاسم ، وجود الدال العجماء به ، وقيل : سميت بالسلام ، لأن السلام هو الله ، وقيل أيضاً : لأن نهر الدجلة يقال له وادى السلام .

شرع المنصور فى بناء حاضرته الجديدة ، فى موضع بغداد القديمة ، وجمع لذلك المهندسين والعمال وأدوات البناء ، ووضع بيده أول لبنة وقال : «باسم الله ، والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين» . وخططت المدينة بالرماد أول الأمر ، ومكان هذه الخطوط حفر أساس المدينة عام ١٤٥ هـ . واتخذ للمدينة شكلا دائرياً يتوسطه داره وجامعه ، وهذا النظام فارسى الأصل ، وكان للمدينة أربعة أبواب هى : باب خراسان ، وباب الشام ، وباب البصرة ، وباب الكوفة . وأحاطها بسورين وخندق وكان قطرها ٢٢٠٠ ذراعا .

غير أن بغداداً هذه ، سرعان ما ازدحمت بالمبانى والعلماء والتجار والصناع ، الذين وفدوا عليها من جميع أرجاء الدولة العباسية ، ولذا فكر المنصور فى الإقامة خارج بغداد ، فى مكان طليق ، فبنى عام ١٥٧ هـ قصر الخلد على شاطىء دجلة الغربى ، ولما تم بناء بغداد أقطع المنصور أعيان دولته قطائع من الأرض على غرار قطائع أحمد بن طولون فيما بعد ، وذلك رغبة منه فى تخفيف الضغط عن بغداد من جهة ، ومكافأة لهم على ما قدموه للدولة من خدمات من جهة أخرى . وبلغ عدد سكك بغداد ودروبها حوالى ٦٠٠٠ر سكة ودرب ، كما بلغ عدد حماماتها ١٠٠٠٠ر ، وفى هذا القول مبالغة ظاهرة ، ويقال إن مساجدها بلغت ٣٠٠٠٠ر مسجدا ، وقيل أيضاً أنه كان بها ٥٥ قنطرة ، ٤٠٠ رحى مائية ، ٤٠٠٠ معمل لصناعة الزجاج ، ٣٠٠٠٠ر معمل لصنع الخزف ، كما كان لبغداد ضواحى سميت بالأرباض أشهرها أربعة ، جعل على كل منها موظف يشرف عليها .

هذه صورة مصغرة لمنشأ مدينة بغداد ، ولقد مرت عليها أحداث كانت ذات أثر كبير فيها : فهى قد تأثرت بالفتنة التى اندلعت بين الأمين والمأمون ، كما تأثرت بحصار بنى بويه ثم السلاجقة لها ، وأخيراً عندما حاصرها التتار بقيادة هولاكو فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .

الحياة العقلية

فى صدر الدولة العباسية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى

المدرس بكلية اللغة العربية

— ١ —

فى الصدر الأول من الدولة العباسية (١٣٢ — ٢٣٢ هـ) ازدهرت الحياة العقلية فى الحواضر الإسلامية ازدهاراً كبيراً ، وتلاقت فى بلاد العالم الإسلامى موجات الثقافة والتفكير . فكانت الدولة إبان ذلك العهد مزيجا من شعوب متعددة وكانت عقلية الأمة الإسلامية يبدو عليها أثر تلك الوراثات والثقافات واضحا .

كان النفوذ للفرس ، فانتشرت ثقافتهم على أيدى الوزراء والكتاب الفارسيين ؛ ونقل المثقفون : من الفرس الذين أجادوا العربية ، والعرب الذين أتقنوا الفارسية : تراث الفرس القديم فى العلوم والآداب والسياسة والاجتماع ، وكان إنتاج الذين أجادوا اللغتين من هؤلاء وهؤلاء صادرا عن ثقافتين وعقليتين . وكانت عواصم فارس مراكز حية للنشاط العقلى فى ميادين الثقافة والتفكير ؛ ويقول ابن خلدون : إن حملة العلم فى الإسلام أكثرهم من العجم [١] .

ودخلت الثقافة اليونانية فى هذا العصر أيضا على الفكر الإسلامى ، بامتزاج الجنسين فى الحياة الاجتماعية ، وبتشجيع الخلفاء لترجمة كتب الطب والنجوم والفلسفة من اليونانية إلى العربية ، وإذا كان خالد بن الوليد المتوفى عام ٨٩ هـ أول من ترجم — أو ترجمت له — كتب النجوم والطب والكيمياء [٢] ، فإن المنصور المتوفى عام ١٥٨ هـ قد عنى بترجمة كتب النجوم والطب والفلسفة وتشجيعها . وبعث إلى أمبراطور الدولة الرومانية الشرقية يسأله صلته بما لديه من

(١) ٤٤٣ مقدمة ابن خلدون .

(٢) ٢١٣ / ١ البيان التبيين ، ٤٩٧ الفهرست لابن النديم .

كتب الفلاسفة ، وتخير لها مهرة المترجمين ، وكلفهم بإحكام ترجمتها [١] . بل كان المنصور أول خليفة قرب المنجمين ، وترجمت له الكتب من اليونانية والرومانية والفهلوية والفارسية والسريانية [٢] . وكذلك فعل الرشيد ؛ وأوفد المأمون الرسل إلى ملوك الروم فى استخراج علوم اليونانيين ونسخها بالخط العربى وبعث المترجمين لذلك [٣] ، وأنشأ فى بغداد مدرسة لتخريج المترجمين .

وإذا كانت الدولة قد قبلت الثقافة الإيرانية فى أمور الدولة فقد أخذت، فى ساحة الحضارة والثقافة أمورا كثيرة من بيزنطة [٤] .

وكذلك اتصلت الثقافة الهندية بالفكر الإسلامى ، مباشرة أو بواسطة الفرس أيضا . . أما الأتراك فلم يكن لهم مدنية أو ثقافة ، ولم ينبغ منهم فى الأدب والشعر والعلم بعد أن تعلموا العربية إلا القليل : كأحمد بن طولون والفتح بن خاقان ثم ابن جنى العالم المشهور .

وكان للإسلام فوق ذلك كله ثقافة واسعة فى الدين واللغة والأدب والشعر ، كانت هى أهم شىء أثر فى الفكر الإسلامى ، وكانت المورد الأول للناس جميعا .

تجمعت هذه الثقافات فى العراق فى العصر العباسى الأول ، وأحدثت أثرها فى العقول والأفكار ، وكان المتكلمون أكبر عامل فى امتزاج هذه الثقافات [٥] وصلة بين الفلسفة اليونانية والأدب ، فقـــدموا معانى للأدباء والشعراء لم يكونوا يعرفونها .

— ٢ —

وفى العصر العباسى الثانى (٢٣٢ - ٣٣٤ هـ) زاد امتزاج هذه الثقافات ، بتطاول الزمن ، وتلاقح العقول ، وظهور آثار حركة الترجمة ، وتشجيع الخلفاء والوزراء للعلم والعلماء ؛ فكان أزهى عصور العلم فى البلاد الإسلامية .

---

(١) ٤٨٠ مقدمة ابن خلدون ، ٥٥ طبقات الأمم لصاعد .

(٢) ٢٤١ / ٤ المسعودى .

(٣) ٤٨٠ و ٤٨١ ابن خلدون .

(٤) ٣٨ تاريخ الحضارة الاسلامية لبار تولد .

(٥) ٣٨٠ ضحى الاسلام .

وإذا كان العصر الأول قد غلبت عليه نزعة الاعتزال التى أيدها المأمون بكل ما استطاع ؛ فإن العصر الثانى وهو عصر النفوذ التركى كان مصحوبا بمظاهر جديدة ؛ أهمها القضاء على سلطان المعتزلة وإعلاء شأن المحدثين ، فأمر المتوكل بترك الجدل فى الدين والقرآن ، واضطهد رؤساء المعتزلة ، وقرب إليه أئمة المحدثين ، وكان هذا الاتجاه يحظى بتأييد الأتراك ويعملون له [١] .

— ٣ —

وتعددت مراكز الحياة العقلية فى هذا العصر ؛ ونشطت الدراسات الدينية واللغوية فى مصر ، وتفوقت الشام فى الشعر والآداب واللغة [٢] ، وكان للعراق الصدارة فى العلم والأدب والفلسفة ، فكانت بغداد والبصرة وحران أهم مراكز العلم فى العراق ، واشتهرت بلخ وخوارزم وأصفهان فى ميدان التفكير والثقافة ، ونبغ منها أئمة العلماء .

ونبغ فى ألوان الثقافة الدينية والفكرية والعربية والأدبية الكثير من جلة العلماء والمفكرين والأدباء .

وأضحت فى هذا العصر معرفة العلوم المترجمة شرطا فى الكاتب والأديب ، وراج علم النجوم وانتشر بين الناس والأدباء .

على أنه لم تكن مناهج التفكير واحدة عند جميع الناس ، وكان الخلاف بين هذه المناهج على أشده فى العراق .. ويثور ابن قتيبة فى مقدمة كتابه «أدب الكاتب» [٣] على الحالة فى عصره ، حيث أهمل الناس علوم الدين مع عنايتهم بالفلسفة والمنطق ، وكان ابن قتيبة من أهل السنة ومن علماء الدين مع واسع ثقافته اليونانية [٤] .

وكان جماعة من العلماء والأدباء يؤثرون البعد عن ضجيج الثقافة المترجمة ، ويسخرون منها ومن رجالاتها .

وكان عماد الثقافة فى هذا العصر هو الثقافة العربية وحدها من بين هذه الثقافات

وعلى الجملة فقد كان صدر الدولة العباسية أزهى العصور الإسلامية فى تاريخ الحركة العقلية فى الاسلام ؟

---

[١] ١/٤٩ ظهر الاسلام [٢] ١/٨ اليتيمة للثعالبى ، ١/١٧٧ ظهر الاسلام

[٣] ص ٢ أدب الكاتب بهامش المثل السائر [٤] ٤٠٢ - ١/٤٠٦ ضحى الاسلام

سلمت

وهل حى من الناس يسلم ؟

لفضيلة الاستاذ الشيخ منصور رجب

المدرس بكلية أصول الدين

ابتلى المسلمون عامة والفقهاء خاصة بأن يكونوا أشد الناس تحاسداً وتباغضاً . فقديماً رمى غلاة الشيعة أبا بكر ، وعمر ، وغيرهما بالزندقة والعمل على تفريق المسلمين حتى قال شاعرهم :

صديقهم بعد النبي تزندقا ... وكذاك فاروق الصحابة فرقا

بين النبي وآله ووصيه ... والمسلمين درابذا من حقفا [1]

ويروى الخطيب البغدادى فى كتابه تاريخ بغداد[2] أن سفيان الثورى لما جاءه نعى أبى حنيفة قال : الحمد لله الذي أراح المسلمين منه ، لقدكان ينقض عرى الإسلام عروة عروة . ما ولد فى الإسلام مولود أشأم على أهل الإسلام منه . ويروى عن مالك قوله : إن أبا حنيفة كاد للدين ، ومن كاد الدين فليس منه . وعن الشافعى يقول : أبو حنيفة يضع أول المسألة خطأ ثم يقيس الكتاب كله عليها . وعن عبد الله ابن المبارك قوله : من كان عنده كتاب حبل أبى حنيفة يستعمله أو يفتى به فقد بطل حجه ، وبانت منه امرأته . ويروى أن أبا بكر بن أبى داود السجستانى سمع وهو يقول لأصحابه : ما تقولون فى مسألة اتفق عليها مالك وأصحابه ، والشافعى وأصحابه ، والأوزاعى وأصحابه ، والحسن بن صالح وأصحابه ، وسفيان الثورى وأصحابه ، وأحمد بن حنبل وأصحابه ؟ فقالوا له : يا أبا بكر لا تكون مسألة أصح من هذه . فقال : هؤلاء كلهم اتفقوا على تضليل أبى حنيفة [3] .

---

(١) شرح الأخبار للقاضى أبى حنيفة النعمان - غير أبى حنيفة صاحب المذهب - مخطوط بالمكتبة الملكية تحت رقم ٧٠٦٢ .

(٢) ج ١٣ ص ٣٩٨ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه ص (٨) .

ويقول تاج الدين بن تقى الدين السبكى فى كتابه طبقات الشافعية الكبرى [1] وكتابه - يريد ابن حزم - « الملل والنحل » من شر الكتب ، وما برح أصحابنا من المحققين ينهون عن النظر فيه لما فيه من الأزراء بأهل السنة ، ونسبة الأقوال السخيفة إليهم من غير تثبت عنهم ، والتشنيع عليهم بما لم يقولوه . وهذه ظاهرة خطيرة تفشت - وتتفشى - بين العلماء خاصة ، ويمتد لهبها إلى المسلمين عامة الأمر الذى جعل بعض العلماء يعقد باباً فى حكم « قول العلماء بعضهم فى بعض » يبدؤه بحديث « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء » . ثم يروى قول ابن عباس : استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض . وقول مالك بن دينار : تقبل شهادة القراء فى كل شىء إلا بعضهم على بعض . وهذه الظاهرة ، ما سببها ؟ فليس - كما يقول الجاحظ - فرع إلا له أصل ، ولا مولود إلا من مولد ، ولا نبات إلا بأرض ، ولا رضيع إلا له مرضع . سببها التعصب المذهبي واختلاف العقائد ، دينية كانت أم سياسية أم اجتماعية . والتعصب ينتج الغل ، والغل ينتج الحسد ، بل هو رضيعه وغصن من أغصانه ، أو إن شئت فقل بل هو عون من أعوانه ، وشعبة من شعبه ، وإذا كان التعصب المذهبي واختلاف العقائد يجر إلى هذه النتائج التى عانت وتعانى الإنسانية منها شر ألم وعذاب ، فأخطر حدث ينمى هذه الظاهرة إلى درجة الفتنة هو التكالب على المادة . ورحم الله حذيفة بن اليمان فقد كان يقول : من أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا ؟ فلينظر : فإن كان يرى حراماً ما كان يراه حلالا ، أو يرى حلالا ما كان يراه حراماً فقد أصابته الفتنة . وهل نحن فى فتنة ؟ وأى فتنة وأنت تسمع وترى مقاييس الأمور تجرى لا كما يتطلب الحق والعدل ، بل كما يتطلب الهوى وتهوى الشهوة .

كان الناس يسألون رسول الله صلوات الله عليه عن الخير ، ومن بينهم من يسأله عن الشر مخافة أن يدركه ، فقال قائل من هؤلاء : يارسول الله ! إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير . فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ! فيعود السائل يسأل . وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ فيقول صلوات الله تعالى عليه

---

(١) ج ١ ص ٤١ .

نعم ! وفيه دخن . فيعود السائل يسأل عن هـذا الدخن . فيقول الرسول : قوم يستنون بغير سنتى . ويهدون بغير هديى ، تعرف منهم وتنكر . فيقول السائل . وهل بعد ذلك الخير من شر ؟ فيقول : نعم ! دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها . فيطلب السائل من رسول الله أن يصف له هؤلاء الدعاة فيقول : هم قوم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا . قلت يا رسول الله ! فما تأمرنى إن أدركنى ذلك . قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال : اعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على جذل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . هذا هو الدواء وهذا هو طريق النجاة . فاعرف نفسك فمعرفة النفس مبدأ كل علم وفضيلة . ومعرفة النفس مفتاح معرفة الله ، والله هو الحق المبين . وإن الله ليحمى المؤمن يومئذ مما فى الدنيا من شر كما يحمى أهل المريض مريضهم الطعام . واضطهاد أحرار الفكر أمر يلازم الإنسان فى تاريخه الطويل وقد يصل إلى القتل أحيانا ، وما تلك الفجائع التى يرويها التاريخ عنا ببعيدة ، ولست ترى فى هـذا الأمر أخطر على الأحرار من الفقهاء . ففى كل جيل تراهم يناهضونهم ويسخطون عليهم ويحرجونهم ويكفرونهم وقد يصل ذلك إلى القتل أحيانا . ففقهاء اليونان هم الذين أفتوا بقتل سقراط زعيم المقتولين الأحرار . وفقهاء العراق هم الذين أفتوا بقتل الحلاج . وفقهاء الشام هم الذين أفتوا بقتل السهروردى . وفقهاء المسلمين هم الذين قد سمعتهم — إذا صحت هذه الروايات — يقولون ما قالوا عن أبى حنيفة ، وما ذلك إلا لأنه إمام أهل الرأى . وإذا كان هؤلاء وأمثالهم قد دفعوا ثمن الحرية وهم جد عظماء فأنهم قد خطوا بالفكر خطوات فى أن يحمى نفسه بنفسه من هذه الظاهرة الخطيرة . وكم دفع الإنسان من ثمن إلى أن أعلنت الجمعية التأسيسية التى تمخضت بها الثورة الفرنسية « حقوق الإنسان » وإذا كانت هذه الجمعية تعلن أن الجهل بهذه الحقوق ونسيانها والسهو عنها ، تلك هى الأسباب الوحيدة للمصائب العامة . فهل محيت المصائب العامة ؟ وإذا كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أقرت حقوق الإنسان ، وأعلنت بذلك العالم حتى لا يكون على جهل بها ونسيان لها وسهو عنها فتتكرر المصائب العامة . فهل محيت

المصائب العامة وساد السلام ؟ إن المصائب العامة لا يمكن أن تمحى من الوجود ما دام الإنسان هو الإنسان . إنما يمكن أن تزول نسبيا . وليس سلام إلا بالرجوع إلى الدين ذلك الذى قد وصل إلى أن « كونوا عباد الله إخوانا » بينما التفكير السياسى ينطوى على الضغائن والأحقاد ، والغش والخداع ، والمكر والمكيدة .

ليس سلام ولا نصر إلا بالرجوع إلى الدين والإيمان بالله ، إن العرب لم يكونوا أهل علم يوم نصرهم الله ، بل كانوا على خلق متين وقوة أيمان بالله . ألم ترهم يوم دخلوا المدائن منتصرين ؟ دخلوا فرأوا قبابا تركية مملوءة سلالا مختومة برصاص فحسبوه طعاما فإذا فيها آنية الذهب والفضة . وكان الرجل منهم يطوف يبيع الذهب بالفضة متمائلين . ورأوا كافورا كثيراً فحسبوه ملحاً فعجنوا به فوجدوه مراً [1] .

ومع ذلك دوخوا مملكتى الفرس والروم ، وكونوا لهم دولة عظيمة هى مضرب الأمثال فى التاريخ ، ذلك لأنهم كانوا يؤمنون بالحق ويضحون فى سبيل الحق ويقدمونه على النفس والمال والولد . أنظر إلى فاطمة بنت محمد صلوات الله عليه تذهب إلى أبيها وهى حامل ، فتشكو إليه أنها إذا جلست تخبز أصاب حرف التنور بطنها ، وتسأله خادما ، فيقول لها : « لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع » بهذا سلم الناس ، وبهذا عاشوا فى أمان بعيدين عن القلق والألم والاضطراب « وبعد » فهل من سبيل إلى محو هذه الظاهرة الخطيرة التى تفشت وتتفشى بين العلماء خاصة ويمتد لهبها إلى المسلمين عامة والتى تركتهم يكيدون لبعضهم كيدا ، وتركت المسلمين من ورائهم يلعن بعضهم بعضا ؟ لا سبيل إلا أن نرجع إلى الحق ، والله هو الحق المبين . وإذا كان الحسد ضار فى كل زمان ومكان فليس أضر علينا من حسد سببه المادة .

---

[1] ابن الأثير ج ٢ ص ١٥٣ طبعة المطبعة الأزهرية المصرية .

فهـــرس

الجزء الأول ـ المجلد الثالث والعشرون

الموضـــوع	بقلم	صفحة
الاحتفال بيوم الهجرة النبوية ـ خطبة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر		أ
العام الجديد	فضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد	٥
قصيدة فى العام الهجرى	» » أحمد شفيع	ز
فاتحة السنة	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٣
الأستاذ الأكبر الجديد	» » »	٤
تهنئة	فضيلة الأستاذ السباعى الشناوى	٥
الهجرة النبوية	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٦
الربا فى نظر القانون الإسلامى ـ فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز		١١
التفسير	الأستاذ الشيخ عبد المنعم النمر	١٨
حكم الختان فى الشريعة الإسلامية	» » محمود شلتوت	٢١
فى الأزهر ورسالته وإصلاحه	الدكتور محمد يوسف موسى	٢٥
شعراء الأزهر	الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان	٣٠
دراسات فى القرآن	» » محمود النواوى	٣٧
أبو إسحاق الشيرازى	» » عبد الله المراغى	٤٢
البابية والبهائية	حضرة الأستاذ عمر طلعت زهران	٤٦
أثر الهجرة	الأستاذ الشيخ السيد شريف	٥١
أمن المجتمع واستقراره	» » محمود فياض	٥٥
الإسلام والاشتراكية	حضرة الأستاذ سعيد زايد	٦١
الأزهريون	الأستاذ الشيخ محمد كامل الفقى	٦٤
الدعوة المهاجرة	» » محمد خليفة	٦٨
محاربة الإسلام للفقر	» » إبراهيم أبو الخشب	٧٢
سهام إبليس	» » كامل عجلان	٧٥
بغداد	حضرة الأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ	٧٩
الحياة العقلية فى صدر الدولة العباسية ...	» » محمد عبد المنعم خفاجى	٨٢
سلمت ومل حى من الناس يسلم	» » منصور رجب	٨٥